كتب
سياسية

ثورة الزنوج

تأليف لويس لوماكس
ترجمة الدكتور سيد عويس
مراجعة شوقي الكيال

نبذة عن المؤلف

المؤلف « لويس لوماكس » زنجي ولد في فالدوستا بولاية جورجيا ـ ١٦ من أغسطس عام ١٩٢٢ . وبعد تخرجه في الجامعة عمل أستاذا مساعدا للفلسفة بجامعة جورجيا واصبح محررا في مجلة شيكاغو أمريكان . وانتقل الى نيويورك في عام ١٩٥٨ ، وكان أول زنجي يظهر على شاشة التليفزيون وكتب مقالات عدة نشرت في مختلف المجلات ، وظهر كتابه الأول « الافريقي النافر » عام ١٩٦٠ ونال جائزة مجلة ساترواى ريفيو ، وعمل لوماكس في التليفزيون ككاتب ومخرج وكتب وأخرج مع ميك والاس « الحقد الذى ولده الحقد » . وهو متزوج من بيتى فرانك وهي شخصية اذاعية مشهورة ولهما ولد عمره ١٠ سنوات .

مقدمة

يعرف القاموس كلمة ثورة بأنها تغيير عميق أو شديد فى حالة أو منهج أو فكرة وهذا هو المعنى الذى أقصـــده عندما أقول : ان الزنجى الأمريكى فى حالة ثورة منذ أكثر من خمس سنوات ٠ فثورة الزنوج تتضمن تغييرا شديدا فى مناهجنا وأفكارنا حول التفرقة والقيادات التقليدية لتنظيمات الزنوج ٠ فبالنسبة الى التفرقة تكمن الثورة فى أننا لم نقرر ازالة آخر آثار هذا الوزر فحسب وانما قد تبنينا كذلك منهجا جديدا وسلحنا أنفسنا بأسلحة جديدة فى حربنا ضد التفرقة وكل مكوناتها ٠

أما الثورة ضد قيادة تنظيمات الزنوج القائمة فجاءت نتيجة لأن هذه التنظيمات تستخدم أسلحة أثبتت (برغم تحقيقها لبعض المكاسب) أنها غير قادرة على أن تكيل ضربة قاضية للتفرقة ٠

وليس معنى هذه الثورة ضـد بعض الأســاليب وتنظيمات الحقوق المدنية التى تبنباها أننا قد هجرنا هذه أو تلك تماما وانما نطالب نحن الزنوج بتغيرات تكتيكية طالما رددتها قيادات التنظيمات التقليدية دون أن تعمل بها ٠

ولكى نفهم ثورة الزنوج لا بد من تذكر تاريخهم الماضى حتى يمكن فهم الحاضر وما لم نجل الماضى والحاضر فمن العبث أن نقدم مقترحات بشأن المستقبل ٠

ان ثورة الزنوج فى أمريكا هى احدى الهبات غير البيضاء التى تجتاح العالم الآن ٠ وللسود أحقادهم ضد البيض ويرى كثير من المفكرين الجادين من البيض والسود أن هذه الأحقاد قد تنفجر ذات يوم فى صراع دموى رهيب ٠ ويمسك الزنجى الأمريكى اليوم بيده مفتاح هبة الشعوب غير البيضاء على نطاق العالم كله ٠

الجزء الأول

وجهة نظر زنجية للتاريخ الأمريكي

١ – بداية الثورة :

في مساء أول ديسمبر سنة ١٩٥٥ كانت «مسز روزا باركس» الحائكة في معرض منتوجومرى بولاية الباما في طريقها الى محطة الأتوبيس بعد يوم شاق ٠ وعندما ركبت وقفت في القسم المخصص للزنوج وجلست في أول المقاعد التالية للقسم المخصص للبيض ٠ وكان الأتوبيس مزدحما فأمرها سائق الأتوبيس هي وثلاثة آخرين من الزنوج أن يخلوا مقـــاعدهم حتى يجلس مكانهم بعض الواقفين البيض ، وأخلى الثلاثة الآخرون أماكنهم أما مسز باركس فقد رفضت ٠ ولما كان هذا الأمر يعد جريمة فقد قبض عليها وسيقت الى قسـم البوليس مشيعة ببعض الضـــحكات واللعنات وانقضى الحادث في دقائق ٠ ولكن من هذا الحادث الصغير انبثقت ثورة الزنوج ٠

لماذا قامت ثورة الزنوج الآن ؟

لقد أتت نهاية العقد الخامس وأوائل العقد السادس من هذا القرن بتحسينات كبيرة نسبيا في حالة الزنوج ٠ وأجهد الكثيرون من الزنوج والأحرار من البيض أنفسهم ليفهموا كيف يمكن أن يؤدى تحسن حالة الزنوج الى زيادة صلابتهم ٠

وهذه الصلابة نفسها تختفى اذا ما رئيت من خلال المظهـر السطحى لحياة الزنوج ٠ فالمرء اذ يرى الزنجي في منزله المريح في الضواحي أو وهو يتمشى في فتور في الشوارع أو مسرعا في المراكز التجـــارية في المدن الكبيرة أو يرى الزنوج في أحيائهم السكنية ، يدرك أن هؤلاء الناس برغم حرمانهم فليسوا شعبا غاضبا على الاطلاق ٠ واذا ذهب المرء الى الجنوب ليرى الطبقة المتوســطة الزنجية والجماهير السوداء التى تكدح لتعيش البرجوازية السوداء

فى رفاهية لا تستنتج أنه برغم أن الزنوج يطالبون بالحقوق المدنية فليس فى نيتهم أن يناضلوا نضالا حقيقيا من أجلها ٠

ولطالما سمعت ان الأصوات الغاضبة التى نسمعها فى ثورة الزنوج هى مزيفة ٠ وأن الزنجى مجرد خائف ومضطرب ٠

وانى أحس أن هذه نظرة سطحية للزنوج ٠ولكن واقع التفرقة قد جعل من ديناميات حياة الزنوج أمرا لا يرى من السطح ٠ وأن أكبر حماية لنا هى لا مبالاة الرجل الأبيض الذى نادرا ما يلحظنا واذا فعل ذلك فهو لا يدرك ما يرى ٠
ان غالبية البيض وحتى الأحرار منهم يجهلون تاريخ الزنوج٠ فالأحرار يرون ان الأمور أحسن اليوم عما كانت عليه فى سنة ١٩٥٠ مثلا ، ولا يستطيعون أن يفهموا كيف تتعرض قيادة تنظيمات الزنوج التى قامت بهذا الدور المجيد للهجوم والنقد القارس ٠

وان اختلاط الأمر فى ذهن الرجل الأبيض بصدد ما يريده الزنوج أمر مفهوم ، فالزنوج أنفسهم يختلط عليهم الأمر ٠ فانا أراهن أن أكثر من نصف الزنوج يعانون مشاكل نفسية حول هذا السؤال البسيط من أنا ومن أكون ؟ ٠ هناك عشرات الأجوبة على هذا السؤال الا أنها أجوبة لا تشفى غليلا ٠ ويبدو لى أنه من الضرورى أن نعزل ونفهم القوى التى جعلت من الزنجى ما هو عليه اليوم ٠ وحتى نفعل ذلك فكل ما بأيدينا مجرد فروض مريحة٠

فالزنجى الأمريكى هو جنس من صنع الانسان وليس من صنع الآله ٠٠ فنحن جئنا نتيجة للصلة التى قامت بين ملاك العبيد وامائهم من السود ٠ وهذه الحقيقة التاريخية البيولوجية القاطعة جعلت ولايات الجنوب تنفق آلاف الدولارات وملايين الساعات محاولة أن تحدد من هم الزنوج ٠ فقبل سنة ١٩١٠ أقرت ولاية فرجينيا أن الزنجى هو من كانت نسبة الدم الزنجى فى جسمه

٢٥٪ · وبعد عام ١٩١٠ عندما ازداد عدد الزنوج الذين لا ينتمون الى الجنس الزنجي سارع حراس نقاوة الدم الأبيض باعـــلان أن الزنجي هو من كان فى دمه ١/١٦ من الدم الزنجي · وفى عـام ١٩٣٠ لم يكن هذا التعريف بكاف ليحفظ للبيض سيادتهم فأصدرت ولاية فرجينيا قانونا بأن الزنجي هو من يحمل فى دمه أية نسبة من دم الزنوج ·

واذا ما تغاضينا عن مسألة نسبة الدم هذه · نجد حقيقة أخرى هي ان القلة من زنوج اليوم من أصل افريقي خالص · فقد تكونا بيولوجيا في العالم الجديد ، وتجرى فى عروقنا جميع أنواع الدماء ، ونتحدث باللسان الانجلو سكسونى ونعبد الآله المسيحى ومثلنا السياسية هي ذاتها التى أتى بها الأجداد الأول لهذه البلاد ·

وهكذا فليس للزنجي الأمريكى حضـــارة خاصة به بالمعنى الكلاســـيكى والدقيق للكلمة · وبرغم اننـــا معزولون اجتماعيا واقتصاديا عن النبع الرئيسى للحياة الأمريكية فاننا من الناحيـة الحضارية جزء لا يتجزأ منه · الا أنه لما كان التاريخ العام لهـذه الأمة يحذف مساهمة الزنوج فيه ، فهناك اتجاه لدى الزنوج لعزل مساهمتهم فى تاريخ الأمة واعتباره حضارة خاصة بهم · الا أننا لا يمكن أن ندعوها كذلك الا فى أوسع معنى لهذه الكلمة ·

لقد صيغ الزنجي الأمريكى جســـدا وعقلا وروحا من خلال العالم الجديد · وخلافا لجميع الأقليات فى المجتمع الامريكى فنحن الزنوج ليس لدينا الاحساس بالانتماء ، وللأسف فان الاحساس الوحيد الذى نشترك فيه جميعا هو الاحســــاس بعداوة الرجل الأبيض ·

لا يمكننا أن ننكر أن الأغلبية البيضاء هي تاريخيا مؤسسة « حضارة الأطلنطى » وأن أجدادنا من الافريقيين قد دخلوا هـذه

الحضارة كشغيلة · الا أن الزنوج ما ان حطوا رحالهم هنـــا حتى تمثلوا تلك الحضارة وساهموا فيها مساهمة فعالة · لقد ظللنا أعضاء هامشيين فى هذه الحضارة لأن الأبواب التى فتحت لنا كانت أبوابا على الهامش · ونحن لا يمكننا تغيير لوننا ولذلك فقد اتجهنا الى الحصول على ما يجب أن نسميه « البياض الحضارى » برغم أننا قد ساهمنا نحن وأجدادنا فى قيام هذه الحضارة · وقد حاولنـــا الحصول على ذلك البياض الحضارى أملا فى أن نحصل على الحقـوق والحريات التى يتمتع بها الرجل الأبيض اذا ما حصلنا على سلوكه ونظام قيمه ·

وهذا الاضطراب الحضارى له دور كبير فى ثورة الزنوج القائمة فهو يوضح الانقسام العميق داخل الجنس الزنجى ويفسر لنا السبب فى أن الزنجى لا أمل لديه فى اتخاذ شخصية نهائية مأمونة الا فى داخل البناء الاجتماعى الأمريكى العـــام · وعلى ذلك فان الزنجى الأمريكى هو الأمريكى الوحيد الذى يجب عليـه أن يتخطى جماعته ليصل الى شخصيته المطلقة ، ولذلك فاننا الأمريكيون الوحيدون الذين لانرغب فى التنـــازل قيد أنملة عن العقيدة الأمريكية التى وضعها آباء هذه الأمة · فلدينا هدف نهائى مطلق فى انتصار حضارة الأطلنطى سليمة دون تحفظ وبجميع الاحتمالات المتضـــمنة فى افتراض أن صوت الشعب هو صوت الرب وأن البشر قد خلقـــوا أحرارا وهم بهذا المعنى متساوون ·

لكى نفهم الزنجى يجب أن نعيـــد قراءة « الاتحـادى » وأن نتصــــارع مرة أخرى مع الفروض الأساسية عن الانسان والرب والحكومة التى قادت جيفرسون وواشنجطن وجاى وآدامز · هذه هى المثل السياسية التى تدفع الزنجى فى بحثه عن التكامل أو « البياض الحضارى » · وما تاريخ الزنوج الا تلك الجهود المستمرة للافلات من القيود التى فرضتها علينا الأغلبية البيضاء وأن نجـد

ذواتنا فى النبع الأمريكى الأساسى • ولقد أحرزنا بعض التقدم الا أن جهودنا للوصول الى تقمص الأغلبية قد قامت دونها العوائق بصرف النظر عن الأداة التى نستخدمها • ونحن اليوم نستخدم سلاحا جديدا أو هو على الأقل سلاح قديم بسن جديد • هـذا هو فى الجوهر مضمون ثورة الزنوج •

٢ ـ الثورة الامريكية وما بعدها :

ان الفكرة العامة التى تعتبر الزنوج عبيدا أدخلوا الى البلاد منذ عام ١٦١٩ هى فكرة خاطئة • فلقد أتى الزنوج بأعداد كبيرة كمكتشفين وكخدم مع الأوربيين الأول الذين وضعوا أقدامهم فى هذه البلاد • فكان مع « بالبو » ثلاثون زنجيا من ضمنهم « نافلودى أولانو » عندما اكتشف الباسيفيكى وحمل « كورتيز » الزنوج معه الى المكسيك ويقال : انهم أول من حصدوا قمح تلك البلاد • وكان مع « نادفيز » عدد من الزنوج فى رحلته الاكتشافية عام ١٤٢٧ وكذلك مع « كابيزا دوفاكا » عدد منهم فى اكتشافه للأجزاء الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة • ودخل الزنوج مع الفرنسيين وادى المسيسيبى فى القرن السابع عشر وكانوا أول من أقام به •

وهكذا اندمج الزنوج منذ البداية فى مشاكل أمريكا منذ أن كانت مستعمرات منفصلة حتى أصبحت أمة واحدة • ويقدر عدد الزنوج الأحرار والخدم من السود فى الولايات المتحدة بحوالى عشرة آلاف خلال الربع الأول من القرن الســـابع عشر وهى الفترة التى انتشرت فيها العبودية • ولقد أدخل العبيد الى أمريكا بعـــد تلك الفترة وبسبب فشل محاولات تحويل الهنود والخدم البيض الى عبيد • فلقد كان الهنود يموتون والبيض يهربون من الخدمة الشاقة ويضيع أثرهم بين الناس • أما الأفريقيون فقد كان من الســـهل استعادتهم اذا ما هربوا وكانوا أقل معرفة بحقوقهم من نظرائهم من

البيض . وهكذا فمنذ عام ١٦١٩ جلب الزنوج بكثرة وتحولوا بمضى الوقت من خدم بعقود الى رقيق . وبرغم قيام العبودية فلم يتخل الزنجى عن حلم أمريكا . ولعب الأحرار من الزنوج دورا رئيسيا فى الاضطرابات التى سبقت الثورة الأمريكية . فقاد زنجى الجماهير فى شوارع بوسطن يوم الجمعة ٢ من مارس عام ١٧٧٠ . وعندما تصدى الجنود البريطانيون للمظاهرات فى يوم الاثنين التالى كان علـى رأس الوطنيين الذين قادوا المظاهـرات الزنجى « كريسبس أتكوس » وهو عبد سابق . وتدفق الناس فى الشوارع يهتفـون بالاستقلال وأطلق الانجليز النار فكان أول صريع هو « أتكوس » الذى أقيم له نصب تخليدا لذكراه فى مجلس نواب بوسطن .وكتب « دانيل وبستر » ونسـتطيع أن نؤرخ بتلك اللحظة انكسـار الامبراطورية البريطانية «وكتب جون آدمز» لم تكن معركة ليكسنجتون أوتل بانكر ولا استسلام بيرجوين أو كورن والس بأكثر أهمية فى التاريخ الأمريكى من معركة كينج سـتريت فى ٥ من مارس عام ١٧٧٠ لقد سجل « أتكوس » وزملاؤه من الزنوج عددهم ٥ آلاف ـ الذين ماتوا فى الحرب الثورية ـ اندماج الزنوج فى أمريكا . ولم يكن أمام الزنوج ساعتها الا تقمص الحلم الأمريكى ووجدوا عندئذ كما يجدون اليوم أعوانا لهم .

ولقد حاول « توماس جيفرسون » وهو نفسه أحد ملاك العبيد أن يدخل فى اعلان الاستقلال فقرة تدين ملك انجلترا لسماحه بتجاوز الرقيق ، كما أيد الغـاء العبودية ، ولكنه لم ينجح فى الحالتين . فلقد بينت الحلول الوسط التى أقامت الدستور واعلان الاستقلال أن الأمة الجديدة سيحكمها تحالف من القوى ولا ترغب فى أن تغامر بالغاء الرق وتتحمل النتائج الاقتصادية والاجتماعية لذلك . ولقد كان من رأى « جيفرسون » أنه يمكن والحالة هـذه أن يرحل العبيد من أمريكا ويستبدل بهم عمال من البيض ، ولكن

كان ذلك أمرا غير عملي لنفس السبب الاقتصادى كما أن الجـانب الأخلاقى من الموضوع كان يقلق الكثيرين ممن أراقوا دماءهم فى سبيل ميلاد أمة حرة جديدة ٠

ولقد أدرك الكثيرون من العقلاء البيض أن التفرقة العنصرية هى سرطان اجتماعى ٠ ويبين تاريخ ما بعد الثورة أنه بذلت محاولات فى هذا السبيل ٠ وكان هناك على الأقل قسان من السود يديران شئون كنيستين للبيض ٠ الا أن ذلك لم يدم طويلا فعلى أثر ثورة هايتى فى عام ١٧٩١ وهبة العبيد فى فرجينيا عام ١٨٠٠ تخلى عنهم الكثيرون من المؤيدين ٠ الا أن السبب الرئيسى فى النكسة كان تأثير الثورة الصناعية على العالم الجديد ٠ ففى عام ١٧٨٣ كان اقتصاد الجنوب فى خطر ٠ الا أنه باختراع محالج القطن انتعش الجنوب وازدادت العبودية واستوردت ولايتا جورجيا وجنوب كارولينا فى عام ١٨٠٣ ، مثلا ، عشرين ألف عبد ٠ وهكذا كانت القوى التى تتحكم فى الأمة الجديدة هى التى دفعت الزنوج الى وضع أسوأ مما كانوا عليه قبل الثورة ٠

أما الزنوج الأحرار فقد توزعوا فى عدة طرق ٠ فى عام ١٨٤٨ كان هناك أكثر من ٤٨٨ ألف زنجى حرفى فى الولايات المتحدة ٠ وكانت ملكية الارض هى السبيل الوحيد أمامهم للاثراء ٠ وكان الزنوج الأحرار فى عام ١٨٣٠ يملكون فى ولاية فرجينيا ٣٢ ألف فدان تبلغ قيمتها ١٨٥ ألف دولار ٠ وفى عام ١٨٦٠ كان عشر الزنوج الأحرار فى ولاية شمال كارولينا يملكون أرضا تبلغ قيمتها نصف مليون دولار ٠ أما فى لويزيانا فقد وصلت فئة من المولدين الى مكانة مرموقة وكانت تملك مزارع تتردد قيمتها بين ٤٠ ألف ، ٢٠٠ ألف دولار ويرى « الدكتور جون هوب فرانكلن » أنه فى عام ١٨٦٠ كان ٤٠٠٠ زنجى يملكون عبيدا ٠ وكان هؤلاء الزنوج من ملاك العبيد تحركهم نفس الدوافع التى تحرك نظراءهم

من البيض : الربح . وهكذا وجدت طبقة مالكة من الزنوج الأحرار الذين تميزوا عن غالبية الزنوج الأحرار من جهة وعن العبيد من جهة أخرى .

أما بقية الزنوج الأحرار فقد كونوا فئة من العمال المهرة اشتغلت فى مختلف الحرف وتقدر كمية الاموال التى جمعها الزنوج الأحرار خلال الحرب الأهلية بنحو ٥٠ مليون دولار . وكانت الروح والعقلية التى جمعوا بها الأموال واشتغلوا بها لا نفترق فى كثير أو قليل عن روح الرجل الرأسمالى الأبيض .

الا أن جمع المال لم يكن الشغل الشاغل لكل الزنوج الأحرار. فلقد أطلقت الثورة أسرابا من الزنوج المطالبين بالغاء الفروق بين البيض والسود « الالغائيين » (abolitonisrs) . ففى عام ١٨٣٠ كان هناك على الأقل ٥٠ تنظيما زنجيا تطالب كلها بالغاء العبودية . وقد نفد صبر هذه التنظيمات بحلول عام ١٨٤٤ وطالبت باستخدام العنف للخلاص من الرق .

ولقد انضم الى « الالغائيين » السود أحرارا من البيض أمثال « ويليام لويد جاريسون » و «جيمى بيرفى» و « برودنس كراندال » بالاضافة الى « جون براون » و « جون فيرفيلد . وبتأثير هؤلاء كان العبيد يهربون بالآلاف الى الولايات الشمالية وكندا عن طريق السكك الحديدية السرية الشهيرة وأعلن المستر « كويتمان » محافظ المسيسيبى أنه ما بين عام ١٨١٠ ، عام ١٨٦٠ فقد الجنوب أكثر من مائة الف عبد يقدر ثمنهم حين ذاك بثلاثين مليونا منالدولارات .

ان أحد الخطايا الكبيرة التى اقترفها تاريخ أمريكا العام أنه حذف الأعمال البطولية « للاداريين » من البيض والسود الذين أداروا السكك الحديدية السرية . فكما كان « واشنطون » و « جفرسون » و « آدمز » هم آباء هذه البلاد ، فان هؤلاء الالغائيين

هم الرسل الذين حفظوا تراثنا الأخلاقى والسياسى • فقد أدركوا أن العدو الحقيقى للحرية هو فى الداخل وليس فى الخارج • ان الطفل الأبيض لم يقرأ قط عن هؤلاء المواطنين ودورهم فى بنـــاء الحرية • لذلك فهـو ينظر الى الزنوج من « حراس الحـــرية » • (Freedon Rioters) و « الجالسين » (Sir - ins) كما لو كانوا شيئا نبت فجأة فى حين أنهم حلقة فى سلسلة طويلة من الابطال الأمريكيين الذين دقوا أجراس الحرية •

« جين لويس » المرأة الدقيقة الجسم القوية من نيوليبانون — أوهيو التى كانت تحمل الهاربين من العبيد فى زورقها لتعبر بهم نهر أوهيو •

« جون باركر » الذى اشـترى حريته بعشرين ألف دولارا — يعلم الله من أين أتى بها — ثم عاد لينضم الى « جون فرانكلن » أحد الالغائيين البيض فى السكك الحديدية السرية •

« جوزياه هندرسون الزنجى » الذى فر مع زوجته وأطفاله الى كندا حيث تعلم القراءة والــكتابة ثم عاد ليرتب فرار العبيد من الجنوب الى الحرية •

ثم هناك « هاربيت تويمان » أشهر « موظفة » بالســـكك الحديدية السرية وقد فرت هى نفسهـــا من العبودية ثم عادت الى الجنوب برغم مرضها تسع مرات على الأقل وقادت أكثر من ٣٠٠ عبد الى الحرية • وكانت هاربيت تويمان أمية لا تعرف القراءة والكتابة تقود قوافلها ببراعة عبر الحدود الى كندا والولايات الشمالية •

غير أن ما يسترعى النظر لدى هؤلاء الالغائيين الزنوج — الى جانب بطولتهم — هو لغتهم اذ كانت — كلغة ثورة اليوم — هى لغة اعلان الاستقلال ودستور الولايات المتحدة •

وقد حمل الالغائيون البيض مطالب الزنوج الى قلب مؤسسات البيض – وكانوا رجالا ونساء ذوى همة وحماسة عظيمة • تماما مثل نظرائهم من الأحرار اليوم • وقد هجر هؤلاء وهؤلاء الاعتدال والتدرج فقال «ويليام لويد جاريسون» : « سأكون جارحا كالحقيقة ، عنيدا كالعدالة • ففى هذا الموضوع « الرق » لن أفكر أو أتكلم أو أكتب باعتدال » •

كذلك كان لمواكب الحرية التى يخوضها اليوم القسس ورجال الدين من البيض نظيرها فى حركة الالغائيين • ففى عام ١٨٣٤ نشر « جيمس بيرنى » رسالة الى القسس والاخوة الكبار بين فيها معاداة المسيحيه للرق وتساوى البشر الذين خلقوا على مثال الرب •

ولكن الجنوب لم يسكت على هذا الهجوم فسرعان ما تصدى رجال الدين والعلم من الجنوبيين للدفاع عن الرق – كما يدافعون عن التفرقة – باعتباره صحيحا أخلاقيا وعقليا • وجمع المثقفون الجنوبيون الأدلة المزيفة ليثبتوا أن الزنجى غير قادر على التعلم • ولكنهم وقفوا فى تناقض عجيب فيما بينهم ففى الوقت الذى كان المثقفون يثبتون عدم قدرة الزنوج على التعلم كان رجال الدين يقولون : ان العبودية هى خير وسيلة لتعليمهم المسيحية •

الا أن الجنوب لم يكن ليرضى أن تستمر المناقشة ، فقد كان الأساس الذى يستند اليه نظامه الاقتصادى كله فى خطر ، فلجأ الى العنف ، تماما كما يلجأ اليوم • ففى أكتوبر ١٨٣١ أعلنت ولاية جورجيا عن جائزة ٤ آلاف دولار للقبض على «ويليام لويد جاريسون» وكان رأس « آرثر تابمان » زعيم الالغائيين البيض يساوى ١٢ الف دولار فى ولايتى ماكون وجورجيا ، وعشرين ألفا فى ولاية نيو أورليانز • وهاجم الجنوبيون مكاتب البريد وأحرقوا مجلة الالغائيين « المحرر » وكان البيض الذين يجرءون على العطف على الزنوج يضربون ويطردون من المدن • وقتل المئات من الزنوج

بوساطة عصابات من البيض ·· وهكذا وقبل ١٥ عاما من قيام الحرب الأهلية انقسمت الكنائس المعمودية والميثوديست والانجيلية الى قسمين « شمال وجنوب » حول المسألة الزنجية ·

٣ ــ الحرب الاهلية

لن نناقش مختلف الدوافع المعقدة التى أدت الى الحرب الاهلية انما تعنينا نتيجتها النهائية وهى اعطاء الحرية لأربعة ملايين عبد أمي · كانوا بلا مأوى ، وبلا أرض وبلا أية مهارات غير مستعدين اطلاقا لتحمل مسئولية العيش فى مجتمع اقتصادى معقد ·

لقد ناضل الالغائيون من أجل الغاء الرق فكسبوا الحرب ولكنهم خسروا السلم·فحرروا الزنوج ولكن خلال الأعوام المضطربة من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٧ وعن طريق الانتهازية والجشع ونقص التخطيط وضعت أسس نظام التفرقة الذى نعانى منه حتى اليوم ·

ولقد بدأت المناقشة حول مستقبل الزنوج بعد الحرب الأهلية وقبل أن تنتهى الحرب · كانت هناك أقلية من البيض ترى أنه اذا ما تحرر الزنجى فيجب أن يصبح عضوا كامل الحقوق والواجبات فى المجتمع الامريكى · ولقد كان «ابرهام لنكلن» يعتبر الحرب ثورة من مواطنى الجنوب وليس من ولايات الجنوب ولما انتهت الحرب كان من رأى لنكلن أن يدع ولايات الجنوب تعالج مشكلة الزنوج كما يروق لها ، واقترح ألا يعاد قبول أية ولاية داخل الاتحاد الا اذا قبل عشر مقترعى عام ١٨٦٠ اعلان التحرير ، الا أن الالغائيين فى الكونجرس كانوا ينوون معارضة هذا القرار ولا يثقون فيه · وكان من رأيهم فرض عقوبات شديدة على ولايات الجنوب ولكن لنكلن وقف ضد هذا القرار ·

وأثبتت الأحداث صـــحة توقع الالغـــائيين فلقـــد كان « أندروجونسون » الذى خلف لنكلن أكثر عطفا على الجنوب . فما كاد يهل عام ١٨٦٦ حتى كانت ولايات الجنوب فى طريقها الى الحكم الذاتى واخضـــاع الزنوج . واستعملوا فى ذلك مختلف الوسائل كالقبض عليهم تحت أسبـــاب واهية وخرق حظر التجوال وامتلاك الأسلحة . وأنكر الجنوب حق الزنوج فى الاقتراع وأحس الزنوج بأنهم فى طريقهم مرة أخرى الى العبودية .

ورد أصدقاء الزنوج على هذا الهجـــوم بأحسن منه . فأقر كونجرس عام ١٨٦٥ وكانت للجمهـــوريين أغلبية فيه بزعامة « ثاديوس ستيفنز » قانونين خاصين بالزنوج . الأول يجعل من المكتب الاتحادى لشـــئون المتحررين هيئة دائمة ـ وهو تنظيم اتحادى كان يقوم بمختلف المساعدات للزنوج قبيل نهاية الحرب الاهلية . والآخر يعطى الزنوج الحقوق المدنية الـــكاملة . فرفض الرئيس « جونسون » هذين القرارين كما اعترض على اقتراح تعديل المادة ١٤ من الدستور الذى يقضى بالغاء الرق . ولكن الكونجرس أقر تعديل المادة ١٤ برغم ذلك . ورفض الجنوب التعديل الدستورى وأصدر ما ســمى بالقوانين السوداء ـ وهى سلســـلة من القوانين تنحدر بالزنجى الى مرتبة العبـــد الحر ـ فرد الكونجرس باقرار عدة قوانين يطلق عليها المؤرخون « اعادة البناء الراديكالى » وبموجب هذه القوانين قسم الجنوب الى خمس مناطق عسكرية فرضت فيها الاحكام العرفية ومنح الزنوج حق الانتخاب وحرمه العصاة البيض وفرض على كل ولاية أن تدعو الى عقد جمعية تأسيسية منتخبـــة بالاقتراع العام ولن تقبل أية ولاية فى الاتحـــاد الا بعد أن تقر جمعيتها التأسيسية دستورا يرضى عنه الكونجرس كما لن تقبل أية ولاية فى الاتحاد مالم تقبل تعديل المادة ١٤ من الدستور .

وبرغم أن مصائب الزنجى قد خفت قليلا بوساطة هذه القوانين

فانه وقع بين شقى الرحى ، فمن ناحية متعصبو الجنوب ، ومن ناحية أخرى تحالف من السياسيين والصناعيين كلهم يتوقعون الحصول على مغنم ما عن طريق اعادة البناء الراديكالى . وكانت هذه هى بداية مشكلة الزنوج الحديثة . فلم تكن اعادة البناء الراديكالى مجرد صراع بين البيض حول الزنوج انما كان الصراع يشمل أشياء أخرى .

واستطاع المكتب الاتحادى لشئون المتحررين أن يدفع بالزنوج فى طريق التعليم . فأنشأ عدة مدارس وكليات . كذلك كان المكتب من أنصار الحزب الجمهورى فضم عدة آلاف من الزنوج الى الحزب الذى سيطر عليه الصناعيون الشماليون . وعقدت مختلف الولايات جمعياتها التأسيسية التى كان الزنوج أعضاء فيها . وقاموا بأدوار هامة فيها . وبرغم وجود القوات الاتحادية واصدار القوانين الانسانية الخاصة بالزنوج فان قلب الجنوب لم يسلم قط . فكانت الجمعيات الارهابية ـ كوكلوكس كلان والفرسان السود ... الخ ـ تجوب المدن فى أثناء الليل مرتكبة أفظع الجرائم ضد السود ومؤيديهم من البيض . وشيئا فشيئا دعم الجنوب الحزب الديموقراطى الذى أصبح حاميا لكل جرائم الجنوب . وفى نفس الوقت انتهى عصر جبابرة الحزب الجمهورى الذين أقروا القوانين الراديكاليه وحل محلهم فى قيادة الحزب عناصر كان همها الأول تدعيم نفوذ الرأسماليين والصناعيين .

وفى انتخابات الرياسة عام ١٨٧٦ طالب الحزب الديموقراطى بانهاء اعادة البناء الراديكالى وانقسم الجمهوريون حول الموضوع واستطاع «هايز» المرشح الجمهورى أن ينجح بتأييد نواب الجنوب الديموقراطيين بوعده لهم بسحب القوات الاتحادية من الجنوب . وكانت هذه هى نهاية اعادة البناء الراديكالى .

وانطلق الجنوب فى طريق تدمير كل ما حصل عليه الزنوج

وكان أهمه هو حق الانتخاب فاخترعوا الوسائل المعقدة والمريبـــة لاجراء الانتخابات والادلاء بالأصوات حتى انه بحلول عام ١٨٨٩ كف الزنوج عن أن يكونوا قوة مؤثرة فى الانتخابات ٠

ولكن كان من نتائج فترة اعادة البناء الراديكالى التى استغرقت حوالى العشرين عاما أن يخرج الـــكثيرون من الزنوج من المدارس والجامعات ٠ وأسس « بوكر واشنطون » معهد (تاسكجى) ٠ وتخرج الدكتور « دى بوا » من هارفارد ٠ ولكن الجنوبيين كانوا مصممين على موقفهم ٠ وأقرت ولاية تنيسى أول قانون « جيم كرو » وسرعان ما ارتفعت لافتات « للبيض » و « للملونين » ، وانقسمت المحال العامة والمدارس الى قسمين أحدهما للبيض والآخر للسود ٠ وأقرت المحكمة العليا فى عام ١٨٩٦ القاعدة الشهيرة « معزولون ولكن متساوون » وهكذا أصبحت التفرقة نظاما اجتماعيا معترفا به وقانونيا كذلك ٠ فقد أصبحت تلك القـــاعدة الشهيرة فى التطبيـق هى « معزولون وغير متساوين » ٠

٤ ـ ايمان تحطم

أنفق الزنجى الأمريكى النصف الأول من القرن العشرين فى استعادة رشده من صدمة التفرقة وترويض نفسه عليهـــا ٠ ولقد قيل ان الدافع الوحيد للزنجى فى هذه الفترة كان خوفه من الرجل الابيض ٠ وهو تحليل صحيح الى حد ما ٠ ولكننى أشـــك فى أن الخوف كان الدافع الوحيد الذى صاغ ميول الزنجى وســـلوكه ٠ بل كان الدافع فى رأيى هو محاولة تحقيق الذات فى عالم معاد ٠ وهو دافع أشمل وأحد أساليبه هو الخوف ٠ فاذا كنت تعيش فى مجتمع يعاديك ابتداء من رجل الشارع الى أعلى هيئة قضـــــائية فالخوف يصبح أمرا مفهـــوما ٠ بل ان ادعاء الخوف أمر مفهـــوم كذلك ٠

ولقد وندت بعد الحرب العالمية الأولى وقضيت السبعة عشر عاما الأولى من حياتى فى جنوب جورجيا • وأعتقد أن الزنوج لم يكونوا خائفين فعلا – بل لقد كنا مهرة خبثاء فى الواقع اذ أن ذلك هو الأسلوب الوحيد لتبقى حيا وتعيش • ولقد جاهدنا لنبقى أحياء ونصنع الجيل الذى عليه أن يدفع حركتنا الى الامام ولعل أبلغ برهان على نجاحنا أن الزنوج الذين تقع عليهم اليوم أعباء القيادة ولدوا وتكونوا فيما بين ١٩١٥ والحرب العالمية الثانية ، بل والابلغ من ذلك أن جميعهم ماعدا واحدا أو أثنين شبوا جميعا فى الجنوب • وهذا أمر مفهوم فلا زنوج الجنوب كانوا أكثر شقاء بل كانوا هم كذلك أكثر وعيا وصلابة • صحيح أن زنوج الشمال صلاب كذلك – على الأقل فى حديثهم – ولكن صلابتهم مفهومة اذا كان بوليس نيويورك يحميهم • أما زنوج الجنوب فكانوا أكثر دعة بالمقارنة بهم •

وهكذا انقسم الزنوج الى فريقين على أساس الموقف الواضح من الرجل الأبيض «الصلاب والوادعون» • أما الأولون فقد أقاموا المنبر الذى يقود الصراع من أجل الحقوق المدنية والوادعون انتجوا الرجال الذين أهلتهم معرفتهم الوثيقة بحقيقة مشكلة جنسهم لأن يصبحوا قادة فعالين •

وسنتناول الآن زنوج الجنوب الوادعين لنرى كيف وصلوا الى مركز القوة ونتناول بعد ذلك زنوج الشمال ومساهمتهم فى ثورة الزنوج •

لقد اتجه زنوج الجنوب الى اقامة حياتهم على أساسين لم يكونا محل مناقشة من جانب قادة الزنوج فى أوائل هذا القرن • الأول أن التعليم هو وسيلة ارتقاء الزنوج والآخر أن الشىء الهلامى المسمى بالرأسمال الزنجى سيزدهر ويتيح الفرصة لاقامة الاساس الاقتصادى لعالم الزنوج داخل مملكة الرجل الأبيض • وكان كلا الافتراضين خاطئا •

لقد كانت مهمة تعليم الزنوج على عاتق المبشرين الشماليين البيض فى حين كانت جيوش الاتحاد تشق طريقهـا فى الجنوب ٠ وكان هؤلاء المبشرون يعتنون بالزنوج المحررين ويهيئون لهم سبل العيش والتعليم الدينى ٠ وكان هـــذا الخليط من الـدين وزراعة الأرض والحمـاس البوريتانى واحة للزنوج الذين أعتقـــوا من نير السادة ٠

ولم تبلغ حركة جماهيرية من النشاط والحماس والاندفاع فى التاريخ الامريكى مثل ما بلغته حركة الزنوج فى اندفاعهم الحماسى نحو التعليم بعد الحرب الأهلية ٠

ومع ذلك فلم يكن ممكنا أن يظل تعليم الزنوج فى يد المبشرين وحدهم ٠ فاتجه « مكتب الاحرار » وهو هيئة فدرالية أنشـــأها الكونجرس بعد الحرب الأهلية لرعاية العبيد السابقين – الى توحيد الجهود فى مجال التعليم وجعلها شغله الشـــاغل ٠ وبرغم أن هذا المكتب لم يقدر له الاستمرار الا خمس سنوات فقط فى وجه معارضة عنيفة من الجنوب فانه استطاع أن يقيم أكـثر من ٤ آلاف مدرسة للزنوج فى الجنوب تستخدم أكثر من ١٠ر٠٠٠ مدرس مسئولين عن تعليم أكثر من ربع مليون زنجى ٠

وكان غرض المكتب تخريج معلمين من الزنوج ٠ وأدى هذا الى انشاء جامعات هوارد وفيسك ، واتلانتا ، وتطلع الزنوج الى التعليم العالى ٠

الا أن أعظم حدث فى تاريخ تعليم الزنوج هو نشأة وسيطرة « بوكر واشنجطون » ٠ تخرج بوكر من معهدها مبتون وهو كلية أنشأتها جمعية المبشرين الأمريكية وكانت المنـاهج فى هذا المعهد ترمى الى اعطاء الزنجى « القوة المعنوية والعقلية » وجعـله « صانعا ماهرا » وخلق رجال ونساء من الدرجة الأولى ٠

ولقد تشبع بوكر بتعاليم هذه المدرسة وعرف أن العمـــل « قوة روحية ، وأن الجهد البدنى لا يزيد من الربح فحسب وانما يرقى الفضائل : الامانة والدقة والذكاء » وجعل رسالة حياته أن يجد السبيل لكى يستفيد أبناء جلدته من خيرات هذا العالم ، كيف يحصلون على منازل وأملاك بتقديم خدماتهم التى يرغبهـا العـالم ويحتاجها ؟

وبدا أن القدر يساعده على تحقيق رسالته عندما تلقى دعوة لانشاء مدرسة فى تاسكجى بولاية الباما ، تبرع بها دعاة الخير من البيض ·· وواجه « بوكرواشنجطون » عائقين من أول لحظة فقد كان الأهالى البيض نافرين من انشاء مدرسة للسود بين ظهرانيهم لذلك كان على واشنجون أن يجد الممولين لبناء المدرسة وأن يهدىء من روع البيض · وكان غرضه واضحا فى ذهنه فقد كان يريد أن يظهر للبيض المعادين أن الزنوج يمكن تدريبهـــم على أداء الخدمات التى يحتاجها مجتمع البيض · فكان يعلم طلبته أن أعظم مطامحهم هو أن يصبحوا عمالا مهرة وأن يحترموا القانون وأن يعرفوا وضعهم كزنوج وأن يحترموا الرجل الأبيض ·

واقتنع البيض بدعوة واشـنجطون ودعموا مدرسته بالمال · وذهب واشنجطون كل مذهب ليقتنع مموولوه بأنه لا يعلم طلبته أن يفكروا · وكان يلقى عظة أسبوعية فى المعهد يشرح فيها فلسفته · ان الخطر الأعظم يكمن فى الوثبة الكبرى من العبـــودية الى الحرية « يجب أن نضع عقولنا ومهاراتنا فى خدمة مهام الحياة » · ان الفن والموسيقى بالنسبة لمن يعيشون فى غرف مؤجرة وليس لديهـم أى رصيد فى البنك ليست الأشياء الهامة التى يجب أن تتجه اليهـــا العناية · فان تعليم مثل هذه الأشياء يخلق حاجات لا تســـتطيع قدراتنا الوفاء بهـا · ولقد أخطأ البعض فهـــم فلسفته فلم يكن « بوكر واشنجطون » يعارض فى تعليم الزنوج الفنون والموسيقى

والعلوم وانما كان يرى أن هذه الاشياء ليست عملية ، وكان مقتنعا بأن الزنوج لن يسمح لهم بممارسة هذه المعارف فلم يتعلمونهـا ؟ فالأفيد للزنوج أن يتعلموا كيف يكسبون المـال بأداء الأعمال المسموح لهم بها ثم يستخدمون هذا المال في بناء حياتهم كما فعلت الشعوب من قبلهم ٠

ولما كان التعليم الصناعى بهذا الشكل يعتبر أسلوبا للحياة لانوعا من التعليم فان « بوكر واشنجطون » يعتبر من الموافقين على التفرقة ٠ ولقد قال هو نفسه فى خطابه الشهير عام ١٨٩٥ « قد نكون فى جميع الأمور الاجتماعية الخالصة مفترقين بعضنا عن بعض افتراق أصابع اليد الا أننا فى كل أمور التقـدم يجب أن نكون ملتئمين كاليد الواحدة » ٠

ولقد رحب البيض فى الجنوب والشمال بخطاب واشنجطون ، رأى فيه الجنوب رضاء بالتفرقة العنصرية ورأى فيه الشمال برنامجا لانتاج قوة عمل سـوداء ٠ وكان هذا صحيحا ٠ فقد كان مفهوم واشنجطون عن العمل الصناعى بعيدا عما يتطلبه العمل فى المصانع بالفعل ، ونتج عن ذلك أن خريجيه لم يكونوا مدربين على العمل فى المصانع ٠ وثانيا أن الخريجين لم يكن لديهم نية الاشتغال بالمصانع بل عادوا جميعا الى الريف فى الجنوب ٠

ولقد كان أكبر تحد واجهـه واشنجطون بوصفه فيلسـوفا للتربية هو ما قاله الدكتور « دى بوا » استاذ الاجتمـاع بجامعة اتلانتا حينئذ : « اننى لا أنكر الأهمية الكبرى لضرورة تعليم الزنجى أن يعمل بانتظام الا أننى لا أريد أن يتصـور أحد أن ذلك العمـل سيؤدى الى النجاح والازدهار دون وجود الرجال والنسـاء المثقفين ثقافة واسعة ٠٠ ان الجنس الزنجى مثله فى ذلك مثل جميـع الأجناس لن يكون خلاصه الا على يد الأفذاذ من أبنائه ٠ فيجب أن

يعتنى التعليم أولا بالموهوبين ، وترقية خير عنـــاصر الجنس حتى يقودوا الجماهير الى الامام » ٠

الا أن «دى بوا» لم يكن له من الانصار الا نفر قليل من البيض والسود على السواء ٠ وأدت معـــارضة البيض له الى اجباره على الاستقالة من جامعة أتلانتا ٠ ولقد كان «دىبوا» على صواب بالطبع فبرغم أن واشنجطون يحمد على ادخاله التعليم الى الجنوب فان جميع المدارس والمعاهد التى سارت على دربه أنتجت أفواجا من الزنوج سيىء التعليم ، راضين بالتفرقة ٠ ولقد أدى هذا النوع من التعليم الى اقامة فلسفة تربوية تعتبر الزنجى مواطنا من الدرجة الثانية ٠

الا أن هؤلاء الزنوج لم يكونوا يعتبرون أنفسهم مواطنين من الدرجة الثانية ، بل لقد كان لهم عالمهم الخاص المستقل بوصـفهم « زنوجا متعلمين » لقد كان دورهم هو الاضطلاع بالقيادة الثقافية والعقلية لمجتمع زنجى يموله رأس المال الزنجى ٠ فقد كانت قيادة الزنوج تحت تأثير الجماهير على الايمان برأس المال والملكية كوسيلة للتخلص من الفقر والحصول على الاستقلال الاقتصـــادى ، وكانت فلسفتهم ترمى الى اســـتثمار مدخرات الزنوج فى اقامة مشروعات وصناعات تستخدم الزنوج وتدار بوساطتهم ٠ وعلى هذا الأساس أسس « بوكر واشنجطون » فى عام ١٩٠٠ الغرفة التجارية الزنجيه التى كان لها فى وقت من الأوقات خمسون بنكا زنجيا فى أنحاء الولايات المتحدة ٠ وكان معظم محال الزنوج من محـــال التجزئة وفشلت جميعها ٠ الا أن ما بقى منها أو من البنوك خلق بالفعل طبقة من الرأسماليين الزنوج التى كان همها الأول هو الربح وليس حال الزنوج ٠

ولقد قال بعضهم : ان سبب فشل المشروعات الزنجية هو جهل الزنوج بمسائل المال والتجارة ، وفاتتهم الحقيقة العارية أن الفشل

يعود الى أنها مشروعات « زنجية » لا تستطيع الوقوف أمام الرجل الأبيض • وبانهيار أسطورة الرأسمال الزنجى لم يكن أمام العمال الزنوج الا البحث عن العمل لدى البيض • ولقد كان العمال البيض والزنوج فى الجنوب دائما فى صراع مميت حول الفتات المتساقط من موائد الرأسماليين ، وبلغ هذا الصراع أشده فى العقد الثانى من هذا القرن ، وأدت الأزمة الاقتصادية الى ترك آلاف الزنوج بلا مأوى أو دخل وكانت الصناعة مزدهرة فى الشمال ، وقلت الهجرة الى أمريكا فى الفترة نفسها • وأخذ الشمال يجذب الزنوج اليه ، وبلغت الهجرة الى الشمال أشدها فى عام ١٩١٦ حيث فر حوالى مليون زنجى الى الشمال فى الفترة من عام ١٩١٥ الى عام ١٩١٨ ، الا أن الزنوج الذين بقوا بالجنوب هم الذين كونوا ما نعرفه اليوم بزنوج الجنوب ــ الكتلة الأساسية من القبيل الزنجى •

وظلت مدارس الزنوج توالى تخريج أبنائها حيث مارسوا حياتهم وحرفهم فى حياة تسودها التفرقة • وافتتح الزنوج محالا خاصة بهم فى أحيائهم ، وهكذا استقر الحال بقبيلة الزنوج وأنشئوا عالما خاصا بهم داخل مملكة الرجل الأبيض وعلى حسب قوانينه • ولقد كان عالم الزنوج هذا مستودعا للرعب • يسيطر فيه البوليس على الجماهير دون حسيب أو رقيب ، لا أصوات انتخابية لساكنيه ويعمل أهله فى أحط الاعمال • وهكذا فى ظل هذا الضغط الرهيب كان المتنفس الوحيد هو الانكباب على الشراب واللهو والمشاجرة • لقد أسر الزنوج فى هذه الأحياء الجهنمية ، على حين ازدادت سيطرة الرجل الأبيض ودعمها القانون خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وأصبحت حقيقة فعالة فى العقدين الأولين من القرن العشرين •

٥ ـ روح القبيلة :

ان الزنوج شعب برغم عدم وجود حضارة لهم بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة • يربطهم بعضهم ببعض رباط قوى ، وصاغهم جميعا ألم واحد • ولكنهم لم يكونوا قط قبيلة متميزة قدر ما هم الآن برغم الانقسامات التى تسودهم • وعندما ينعزل شعب ما برغبته أو قسرا عنه بأية درجة فلابد أن ينشأ له تراث شعبى وفولكلورى • ولقد نشأ للزنوج هذا التراث فلهم كنائسهم التى تنتمى الى مختلف الملل المسيحية وهى تختلف أيضا عن مثيلاتها البيضاء • فلها دعواتها وصلواتها بل ان أمانيها الدينية مختلفة كذلك • وتحتل الكنيسة مركزا هاما ان لم نقل المركز الأول لدى الزنوج فى الجنوب • فلطالما حلم الزنوج بالخلاص وهم يسمعون قصة موسى ، بل لقد يلمح الوعاظ الى ظهور موسى أسود جديد • كذلك يعتبر أول يناير من كل عام احتفالا عظيما لدى الزنوج ، وهو يوم صدور « اعلان التحرير » • ففى هذا اليوم يحتفل الزنوج بتلاوة اعلان التحرير فى احتفال مهيب وبالطريقة التى قرأه بها «لنكولن»• ثم يتعاقب الخطباء ذاكرين تاريخ حركة الزنوج وأسماء قادتها • ولولا هذه الاحتفالات ماسمع أحد باسم « بوكر واشنجطون » ، وكريسبس أتكوس » و « وبول لورنس دنبار » ، « وفردريك دوجلاس » • وبعد كل احتفال ينشد الجميع النشيد القومى الزنجى• ولقد غير الزنوج اسمه فى السنين الأخيرة بالمقطع الأول منه فأصبح اسمه « فلنرفع أصواتنا بالغناء » اذ لم يكن من اللائق ونحن نطالب بالاندماج فى المجتمع الأمريكى أن يكون لنا نشيد قومى خاص •

كذلك للزنوج تقاليدهم الشعبية الخاصة بالتخرج من المدارس واحتفالات الدفن •• الخ الا أن هناك ـ فى رأى المؤلف ـ خطا قاتل فى بزوغ القبيلة الزنجية المتميزة وهو أن ما دفعهم الى ذلك أسباب سلبية لا ايجابية فقد دفعوا الى هذا النوع من الحضارة والتراث

تحت ضغط الارهاب والقهر الأبيض · وتبعا لذلك فالمجتمع الزنجى مضطرب تمزقه الخلافات والبغضاء ·

الا أن كل أمل للزنوج حتى فى ذلك العالم المستقل المنفصل قد تلاشى أمام ظلم الرجل الأبيض وارهابه · ولقد كان هذا الوضع بالاضافة الى حرمان الزنوج من كل أداة لتحقيق ذاتهم فى المجتمع هو الذى حرك الزنوج الى هدم أسس مجتمعهم المنفصل حتى قبل أن يكتمل · فلو كان الزنوج تركوا وشأنهم لوصل بهم الحال مثلا الى مثل ما وصل اليه اليهود فى المجتمع الأمريكى ، الا أن الحط من شأنهم والضغط والارهاب البشع واستخدام الضرائب التى يدفعونها لتدعيم نظام التفرقة وكل ملحقاته واصرار الرجل الابيض على أن يجعل من الزنجى عبدا له · كل هذا هو الذى دفع الزنوج لتبنى فكرة تكامل الزنجى مع المجتمع الأمريكى وتوحده معه ·

٦ ـ خارج الجنوب :

لقد تركزت المناقشة فى الفصول السابقة على الجنوب اذ توجد فيه الكتلة الأساسية من الزنوج · والزنجى خارج الجنوب لا يعد واحدا من القبيلة فحسب ، بل ان جذوره تمتد الى الجنوب · ومهما كان المكان الذى يعيش فيه فهو يعانى من نفس الاضطهاد والتعس· ولذلك فان ثورة الزنوج تمتد الى أبعد من ولايات الجنوب ، والانفجار الذى سيحدث فى العلاقات العنصرية فى الولايات المتحدة قد يحدث فى أى مكان ·

وتجرى الآن داخل جماعة الزنوج حركة هجرية واسعة وهى فى أساسها انتقال من الريف الى المدينة ، كذلك فان جزءا كبيرا منها هاجر من الجنوب الى الشمال : وتبين احصاءات عام ١٩٦٠ أن ولاية نيويورك بها أكبر نسبة من الزنوج فى الولايات المتحدة · فيعيش أكثر من مليون زنجى فى مدينة نيويورك وحدها ويكونون

١٤٪ من عدد سكانها • وهكذا فان سكان نيويورك الزنوج يفوقون ما يوجد منهم فى أية ولاية فى الجنوب ما عدا تكساس وجورجيا وشمال كارولينا • كذلك ازداد عدد الزنوج فى ولاية كاليفورنيا بنسبة ٩١٫٢٪ عن تعداد ١٩٥٠ • ويتدفق الزنوج الآن على كاليفورنيا بمعدل ١٧٠٠ نسمة فى الشهر • ويوجد بولاية النبوى الآن ما يزيد على مليون زنجى • وفى واشنطون يبلغ عدد السكان الزنوج ٤١٧٫٧٣٧ فى حين يبلغ عدد البيض ٣٤٥٫٢٣٦ نسمة ، واذا استمرت حركة الهجرة على هذا المنوال فانه بحلول عام ١٩٧٠ ستكون المناطق الرئيسية فى المدن الكبرى بها أغلبية زنجية •

والعقبات الرئيسية التى تواجه الزنوج خارج الجنوب هى التفرقة فى السكن والعمل • ولعل أبلغ دليل على هذا أن دخل الأسرة الزنجية فى المتوسط يبلغ نصف دخل الأسرة البيضاء فى المتوسط • وبالنسبة للسكن فبرغم أن الزنوج يكونون ١١٪ من عدد السكان فلهم ٤٪ من مساحة الأحياء السكنية • والأحياء التى يسكنها الزنوج هى أحياء معزولة خاصة بهم ، وهذا يؤدى الى التفرقة فى المدارس • والحال كذلك فى شيكاغو ولوس أنجلوس• وجاء فى تقرير العصبة المدنية فى شيكاغو عن مشكلة الاسكان ما يلى :

أولا : برغم أن المساكن المتاحة للزنوج أدنى بكثير من المتاحة للبيض فان الايجارات التى يدفعها الزنوج أعلى مما يدفعه البيض • فاذا أضفنا الى هذا التفرقة فى العمل نجد أن الزنوج يحلون مشكلتهم بأن تسكن عدة عائلات فى مسكن واحد ، وهذا هو أساس جميع الجرائم والمشاكل الزنجية •

ثانيا : هناك ارتباط بين التفرقة فى السكن والصحة العامة• ففى شيكاغو يكون الزنوج ٢٠٪ من عدد السكان ومع ذلك فان نسبة الاصابة بالسل بينهم تبلغ٣٣٪من عدد اصابات المدينة كلها•

ثالثا : يؤدى السببان السابقان الى ازدياد مصروفات الرعاية للمجتمع كله ، وقال أحد المسئولين فى شـــــيكاغو : « اذا ألغيتم التفرقة فى المسكن والايجار فان المصروفات العامة تنخفض للنصف» •

وهذه الحقائق تنطبق على كل المدن خارج الجنوب • وسرعان ما تستخدم هذه الحقائق ضـــد الزنوج أنفسهم فيعزى لهم جميع المصائب •

وأحد أشكال التفرقة العنصرية الأخرى هى وحشية البوليس فليس من الضرورى أن يرتكب أى زنجى اثما لكى تنهال عليه هراوات رجال البوليس • ومن الملاحظ أن أكبر بند فى المصروفات العامة للمدن الكبيرة هو التعويضات الكبيرة التى تدفع للزنوج فى مقابل ايذاء رجال البوليس لهم •

ويرتكب رجال البوليس جميع الجرائم الممكنة ضد الزنوج فى جميع المدن الامريكية ، وتزداد المشكلة خطورة عندما تصبح هذه المسألة ــ كما فى هارلم ــ احدى حقائق الحياة •

ولا تقف مشاكل التفرقة خارج الجنوب فى هذه الأســاليب المكشــوفة ، انما تمارس التفرقة أيضــا بوسائل مقنعة • فهناك التفرقة فى العمل ، ثم العقبات التى تقام أمام الزنوج اذا ما أرادوا دخول ميدان الأعمال • فلا البنوك تقرضهم ولا أصحاب المحــال يؤجرون لهم •• الخ • وهكذا نجد أن مجتمع الزنوج يدار من خارجه • فالذين يجأرون بالشكوى من وجود الزنوج فى أحيائهم •• الخ هم الذين يجنون أعظم الأرباح من ورائهم • فالمســاكن التى يســكنها الزنوج مملوكة للبيض • وتجارة المخــدرات التى تنتشر فى أحياء الزنوج يديرها البيض •

فالمجتمع الزنجى يحكمه اثنان : رجل البوليس نهارا وجميع أنواع التجار غير المشروعين ليلا •

الجزء الثانى

ثورة الزنوج

٧ ـ الزنوج فى العقد الخامس من القرن العشرين :

يعيش الزنجى فى العقد الخامس من هذا القرن فى حالة دائمة من الضعة والهوان · فكرامته كانسان مهدرة فى الشمال أو فى الجنوب ، وقيمته ضائعه حتى ان غيره من الشعوب غير البيضـــاء لا تكن له الاحترام الواجب ـ التفرقة فى التعليم ، انعدام الحقوق الانتخابية ، التفرقة فى الخدمات العامة الى جانب وحشية رجال البوليس · الا أن مايعكس الحالة الحقيقية للزنجى فى أمريكا اليوم هى حالته المعيشية ·

لم يزد دخل الأسرة الزنجية بالنسبة لدخل الأسرة البيضاء خلال الخمسينات بل الواقع أنه انخفض خلال العـــامين الآخرين · ولقد جاء فى تقرير لجنة الحقوق المدنية بالولايات المتحدة عن حالة الزنوج مايلى :

« برغم أن مستوى التشــغيل بين الزنوج قد ارتفع خــلال العشرين عاما الأخيرة فما زال الزنوج يتكدسون فى الأعمال التى لا تتطلب مهارة · ولهذا السبب فانهم أكثر الجماعات تأثرا بالظروف الاقتصادية والتغيرات التكنيكية · فتزداد البطالة بينهم كلما أدى التقدم التكنيكى الى الاستغناء عن غير المهرة من العمال · ويمكن ارجاع الحالة المنحطة للزنوج الى عدة عوامل منها :

- التفرقة فى التدريب المهنى ·

ـ التفرقة فى التدريب على التلمذة الصناعية ·

ـ التفرقة فى النقابات والتنظيمات العمــالية وخاصة فى أعمــال الميكانيكا والبناء ·

ـ التفرقة فى الخدمات التى تقدمها مكاتب العمل الحكومية ·

ـ التفرقة فى الخدمات والتشغيل فى القوات المسلحة ·

ـ التفرقة من جانب أصحاب العمل بما فى ذلك العقود الحكومية ·

ـ يعيش ٧٢٪ من الزنوج الآن فى المناطق الحضرية فى حين ٧٠٪ فقط من البيض يعيشون فى المدن ·

ـ فى عام ١٩٦٠ تهدم واحد من كل ستة مساكن يسكنها الملونون على حين تهدم واحد من كل ٣٢ مسكنا يسكنها البيض ، و ٢٩٪ من مساكن الملونين أصبحت فى حالة سيئة فى حين ١٢٪ من مساكن البيض فقط هى التى ساءت حالتها · هذه هى الأرقام الرسمية ، ولكن الحالة فى الجنوب أسوأ من ذلك فقد تهدم واحد من كل أربعة مساكن بالنسبة للملونين ، وواحد من كل عشرة بالنسبة للبيض ، وذلك فى الوقت الذى يدفع فيه الملونون أجورا أعلى من البيض · ويعقد المشكلة أن عدد أفراد العائلة الزنجية أكبر من عدد أفراد العائلة البيضاء ·

ـ ولم تؤد مشروعات الاسكان العامة المخصصة لذوى الدخل المنخفض الى ارتفاع مستوى اسكان الملونين ، ففى كل حالة تهدم « عشش » الزنوج ليقام مكانها عمارة سكنية لا يستطيع أصحاب العشش سكن هذه العمارات لانخفاض دخلهم الشديد، فيهاجرون بأكواخهم الى مكان آخر فى المدينة ·

ـ هذه العوامل الاقتصادية والسكنية تنعكس فى مميزات العائلة الزنجية فواحدة من كل ثلاث زنجيات متزوجات ، ممن يزيد سنهن على ١٤ عاما مطلقة أو منفصلة عن زوجها ، على حين أن النسبة لدى البيض ١ : ٥ ، كذلك ارتفاع نسبة الموتى بين

الذكور من الزنوج من عدد الأرامل ، كذلك ارتفاع نسبة الجرائم بين الزنوج يؤدى الى غياب العائل ٠

- والبيوت المحطمة تؤدى الى قيم منهارة ٠ فمن كل خمسة مواليد ملونين واحد غير شرعى على حين من كل ٥٠ من البيض واحد غير شرعى ٠ هذا فى الوقت الذى تحرم فيه الملونات من خدمات مؤسسات اللقطاء والتبنى ٠

وقد يظن أن هذه الحقائق الأليمة تذوب أمام ماهو معروف من أن الزنوج الأمريكيين قد أثروا ، وقامت منهم طبقة أرستقراطية ٠ فهناك على الأقل ٢٥ مليونيرا زنجيا ، وهناك على الأقل ٤٠٠ زنجى يزيد دخلهم السنوى على ٥٠٫٠٠٠ دولار ، وعشرة آلاف يتردد دخلهم السنوى بين ١٥٫٠٠٠ ، ٥٠٫٠٠٠ الا أن عدد هؤلاء ليس مهما بجانب ما يقولونه أو يفعلونه ٠٠ انهم جميعا يقفون بجانب قضية الزنوج ومنذ عشر سنوات مضت كان هؤلاء الزنوج الاغنياء لهم موقف مختلف فما الذى حدث ؟

منذ أكثر من عشرين عاما والمحكمة العليا للولايات المتحدة تلمح الى أن التفرقة شىء عفن ٠ وبينما لم تهاجم صراحة مبدأ « متساوون ولكن معزولون » فانها قالت بوضوح : ان للزنوج الحق فى المعاملة التى يتمتع بها البيض ٠ فأصدرت حكما فى عام ١٩٣٥ يقضى ببراءة أحد المحكوم عليهم من الزنوج لأن هيئة المحلفين لم تضم زنوجا ٠ وفى عام ١٩٣٨ أمرت المحكمة العليا ولاية ميسورى اما أن تقبل السود فى كلية الحقوق واما أن تهيىء لهم كلية للحقوق يدرسون فيها ٠

ثم جاءت القضية الشهيرة عندما قاضت أسرة « براون » فى كانساس السلطات لعدم سماحها لابنتهم بدخول مدارس البيض ٠

وأيد اتحاد تقدم الملونين هذه القضية التى كان المطلب الأساسى فيها هو حق السود فى دخول مدارس البيض • وتلكأت القضية سنتين فى مختلف أنواع المحاكم . وفى ١٧ من مايو ١٩٥٤ أصدرت المحكمة العليا قرارها : القانون لا يعترف بالتفرقة فى المدارس ويجب أن تستعد المدارس لادخال السود فيها وأعطت مهلة عاما لتنفيذ هذا القرار •

وكان هذا القرار بمثابة صـــدمة كهربية جاءت فى الوقت المناسب • فقد كان الجنود الزنوج العائدون من الحرب العنصرية التى شنها هتلر لايتصورون وجود ما قضوا عليه قائما فى بلادهم • ولقد كان هذا اليوم يوما من أيام نصر الزنوج كسب لهم فيه المحـــامى الزنجى « ثيرجود مارشال » قضيتهم أمام محكمة كلها من البيض • ولكنهم كانوا سذجا اذ ظنوا أن المسألة قد انتهت •

ولقد أصيب الذين اعتقدوا حقا أن هذا القرار سينفـذ بصدمتين : الاولى عندما اكتشـفوا أن من يســمونهم « البيض الطيبين » وهم هذه الفئة التى وان كانت أغلبيتها تؤيد التفرقة الا أنها تخضع للقانون وتحب للمجتمع أن يخضع للقانون . هؤلاء البيض الطيبون وقفوا موقفا سلبيا من حملة الاعتـداءات على السود التى اجتاحت البلاد بعد صدور قرار المحكمة العليا .

وكانت الصدمة الأخرى عندما رفضـت المدارس تنفيذ القرار وقبول الأطفال السود • ففى يونيو ١٩٦١ بعد سبع ســنوات من صدور قرار المحكمة العليا كان ٧٪ من الطلبة السود فقط فى الجنوب هم الذين دخلوا المدارس العامة • وهذا الرقم أقل من الواقع فهـــو يتضمن ولاية كولومبيا حيث ٨٤٪ من الطلاب السود يذهبون الى المدارس العامة ، وهو يتضمن كذلك ولايات أخرى لاتسودها التفرقة العنصرية بشكل كبير . بل ان هذه النسبة الضئيلة تكلفت ملايين

الدولارات فى شكل قضايا رفعها السود فى أنحاء البلاد أمام المحاكم المحلية مطالبين بتنفيذ قرار المحكمة العليا ·

وهكذا وقف الجنوب بكل قواه ليحطم قرار المحكمة العليا ، ولكنه حطم ما هو أبعد من ذلك ألا وهو ثقة الزنجى فى جهاز السلطة الأبيض · فما زال الزنجى يخدم البيض ولكنه لم يعد يثق فيهم أو يحترمهم ·

وبتهدم الثقة فى جهاز السلطة الأبيض ضاع احترام الزنوج للقانون بوصفه أداة فعالة فى التغير الاجتماعى · وهذا فى رأيى السبب الرئيسى فى قيام ثورة الزنوج الآن وبهذا الشكل ·

وعندما تبددت الأوهام شاع الشك فى النفوس حول الأهداف التى لم تناقش من قبل · فلو كان القرار نفذ مثلا فما الذى كان سيعود على جماهير الزنوج ؟ وهكذا ضعف ايمانهم بالأساليب القانونية كسلاح للتغير الاجتماعى ومن ثم ضعفت ثقتهم فى تنظيماتهم القيادية التى كانت تنادى باتباع هذه الاساليب ولهذا فى رأيى ثلاثة أسباب :

أولا : أن هذه التنظيمات بحكم تكوينها من زنوج الطبقة الوسطى وأحرار البيض قد فقدت صلتها باتجاهات جماهير الزنوج· ولذلك كانت هجماتها مركزة على مظاهر التفرقة « الطبقية » لا « الشعبية » ·

ثانيا : لما ظهر أن القانونية والتركيز على المظاهر الطبقية لايفيان بما تطلبه الظروف ومطالب جماهير الزنوج ، استمرت هذه التنظيمات فى موقفها من مشكلة التفرقة وفسرت أية رغبة فى مناقشة المسألة بأنها هجوم عليها وعلى قادتها ·

ثالثا : ان هذه التنظيمات لم تتح الفرصة للزنوج الشبان المتعلمين الذين ظهروا فى المجتمعات الزنجية .

وهذه العوامل بالاضافة الى التباعد بين القيـادات المحلية والقومية للتنظيمات الزنجية أدت بالزنوج الى أن يقولون بصراحة أن طبقة القادة التقليديين ممثلة فى اتحـاد تقـدم الملونين لا يمكن اعتبارها المحرك الاول لحركة الاحتجاج الزنجى الاجتماعية ·

وهكذا فان ثورة الزنوج الحالية هى أكثر من ثورة ضد البيض· اذ أنها كذلك ثورة جماهير الزنوج ضد قياداتهم وأهدافهم · فهناك خلاف بين جماهير الزنوج وبعض قادتهم حول المسـائل الآتية : ما أهداف المعركة ضد التفرقة ، وما النقاط التى يجب مهاجمتهـا ؟ ما الوسائل التى يجب اتباعها ؟ ما دور القيادات القومية والمحلية فى الصراع ؟ هل يجب أن يكون هناك تنظيم واحد قيادى ؟ واذا لم يكن ذلك ضروريا ألا يجب على مختلف التنظيمات أن تحدد دور كل منها ؟

هذه هى الاسئلة التى يثيرها اليوم قوم يخوضون منذ (٤٠٠) عام معركة ليكونوا رجالا عاديين ، ليكونوا أفرادا شأن بقية خلق الله· وهم يوجهون هذه الاسئلة الى قادتهم الذين حاولوا بمختلف الاسلحة الفردية والجماعية لالغاء التفرقة وفشلت جميعها · فهـل يحاولون جديدا كما يقول « جون رسكين » لكى تأتى بما لم يسبق الاتيان به لابد أن تحاول مالم يسبق محاولته »

٨ ـ ميلاد الثورة

لقد حدث الانفجار غير المتوقع فى مساء أول ديسمبر عام ١٩٥٥ عندما قالت (مسز روزا باركس) للسائق «لا» · وتؤرخ ثورة الزنوج بهذا اليوم · ولقد حدثت محاولات كثيرة لاكتشاف السبب الذى حدا بمسز باركس الى اتخاذ هذا الموقف ·فسلطات مونتجومرى تصر على أن اتحاد تقدم الملونين هو الذى دفعهـا الى ذلك · والمتطرفون قالوا انها عملية شيوعية · ولكن الحقيقة أن

مسز باركس انما عبرت عن روح العصر • لقد كانت واحدة من الزنوج الذين فاض بهم الكيل •

وعندما انتشر نبأ القبض على مسز باركس تكونت لجنة من النساء اتصلت بالقسس وغيرهم من القادة المدنيين وطالبت بمقاطعة الزنوج للأوتوبيسات • وبعد ٢٤ ساعة من القبض على مسز باركس انعقد أكبر اجتماع للزنوج شهدته مونتجومرى لوضع خطة للعمل وتقرر اعلان الدعوة لمقاطعة الأتوبيسات فى يوم الاثنين التالى . اى بعد ثلاثة أيام . وكان معنى هذا أن يصل هذا القرار الى ١٧٠٠٠ زنجى يكونون ٧٥٪ من ركاب الأتوبيسات• وأخذ قس شاب على عاتقه مسئولية توزيع المطبوعات وتوصيل القرار الى جماهير الزنوج فى الولاية وكان هذا القس هو الدكتور « مارتن لوثر كنج » •

وفى المساء اجتمع مئات الزنوج وانتخبوا « مارتن لوثركنج» رئيسا للجنة التى تقود عملية المقاطعة • وهكذا تكون اتحاد تحسين حال مونتجمرى وكانت مطالبه :

١ ـ معاملة طيبة للركاب الزنوج •

٢ ـ الركوب على أساس ترتيب الركوب •

٣ ـ استخدام سائقين من الزنوج على الخطوط التى تخدم أحياء الزنوج •

ولم يشترك اتحاد تقدم الملونين فى هذا العمل لأن البرنامج كان معتدلا فى رأيه • وكانت استجابة البيض عنيفة • فلم يستجب المسئولون فى شركات الأوتوبيس ، وقامت عصابات من البيض بالقاء الرعب فى قلوب السود واعتقل « مارتن لوثر كنج » وغيره لأسباب واهية فعدلت اللجنة مطالبها وصار مطلبها الوحيد

هو الغاء التفرقة العنصرية فى وسائل المواصلات • وانضم اتحاد تقدم الملونين لحركة المقاطعة • وقدم المستشار القانونى لاتحـــاد تقدم الملونين عريضة قضائية أمام المحكمة وصدر قرار المحـــكمة الفدرالية بالغاء التفرقة فى أوتوبيسات البلدية • وبعد هذا القرار بأربعة شهور صدر قرار المحكمة العليا بتأييد المحكمة الفدرالية وهكذا انتهت التفرقة فى أوتوبيسات مونتجومرى •

وألهب هـــذا النصر قلوب الزنوج فى مختلف المدن التى تعانى من هذه المشكلة وكون « مارتن لوثر كنج » مع غـــيره من قسس بعض مدن الجنوب « مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبى » متـخذين هدفا له انهـــاء التفرقة العنصرية فى الأوتوبيسات • وأصبحت مونتجومرى مقر قيادة « لوثر كنج » وطارت شـــهرته وأصبحت عالمية واعتبره ١٨ مليون زنجى « مخلصـــــهم » وقارنه البعض (بغاندى) و (ثورو) •

وكان هذا المديح أكبر من أن يحتمله القس الشـــاب ذو الســـبعة والعشرين عاما والذى كان طموحه لا يتعدى أن يصبح واعظا عظيما • ولعل ما يحير الباحثين الآن أن حركة قوية مثـل حركة مونتجومرى لم تسفر حتى الآن الا عن الغـــاء التفرقة فى الأوتوبيسات •

وغادر « لوثر كنج » مونتجومرى الى موطنه فى اتلانتا • وهنـــاك قاد تنظيمه الذى أصبح قوة رئيسية فى ثورة الزنوج • ويعتبر « مارتن لوثر كنج » الآن اكبر زعيم زنجى شـــعبى فى أمريكا • ولا يمكن تنـــاوله دون اثارة غضب الآلاف من السود والبيض معا • وبرغم أننى أقدر « الدكتور كنج » شخصيا فاننى أعتقد أن ثورة الزنوج يمكن أن تسير فى طريق الثورة الفرنسية عندما أطاحت بقادتها •

وتظهر الآن بين الحين والحين أنواع من النقد موجهة «للدكتور كنج » وخاصـــــة من بين الطلبة الذين يظنـــون أنه لم يذهب الى السجن مرات كافية تسمح بتوليه الزعامة ، ويبدو أن صبرهم قد نفذ أيضا فقد كانوا يتوقعون أكثر مما حققه الدكتور كنج وتنظيمه والمشكلة التى تواجه الدكتور « مارتن لوثر كنج » الآن قد خلقها له معجبره الذين يصرون على أن يخلقوا منه ماليس فيه • واذا أردنا أن نقيم الآن « الدكتور كنج ، فأعتقد أن خير ما نفعل هو أن نبدأ القول بما ليس فيه :

ـ فالدكتور كنج ليس اداريا :

فلقد نشأ « الدكتور مارتن لوثر كنج » فى كنف والده الذى كان قسيسا من النوع القديم وأقصد به ذلك النوع « الصلب » الذى كان يقدم عظة يوم الأحد كما لو كانت السماء ستنطبق على الارض ولا يمنعهما من ذلك الا عظته ، ولكنه كان محبوبا ومهابا • وفى ظل هذا الأب ينشأ الأولاد عاطفيين انفعاليين يفكرون بطريقة روحية لا واقعية والنتيجة الحتمية لذلك الخلط بين رغباتهـــم الشخصية وارادة الله • ويمكنهم ادارة كنيسة معمودية لأن هذه الكنائس أقرب ما تكون الى نواد شخصية يؤمها الناس ويتبرعون لها لأنهم يحبون القسس • الا أن هؤلاء الرجال اذا ما واجهتهـم مهام تنظيمية وادارية كالخاصة بتنظيم سياسى ، مثلا فانهم مثل (الدكتـــور مارتن لوثر) يفشلون • وأمثـــال « مارتن لوثر » « ثوريون بالطبع لديهم ما يمكنهم من اثارة الجماهير ودفعها تصرخ فى الشوارع ، ولكن عندما تهدأ الثورة يجد الشـــعب أنه من الضرورى أن يقودها ويدبر أمورها شخص آخر •

ولعل المثل الآتى يوضح ما أريد : عقد الدكتور « كنج » مؤتمرا صحفيا فى خريف عام ١٩٦١ فى مدينة ناشفيل وكان معه

مساعداه « ويات والكر » ، و « جيمس لوسون » وسأله أحد المراسلين :

ـ ما برنامج منظمتكم للعام القادم ؟

فتوقف الدكتور كنج قليلا ثم أجاب : هذا السؤال يجب أن يوجه الى السيد لوسون ؟

فتحول المراسل الى لوسون منتظرا اجابته ٠٠ فقال لوسون بعد تفكير :

ـ نحن نعد لارسال جيش مسالم الى الجنوب فى العام القادم ؟

فابتلع المراسل ريقه وسأل ـ وكم يتكون تعداد هذا الجيش ؟

فقال لوسون ٠٠ أوه أعتقد أنه سيبلغ ربع مليون ٠

فأظهر الدكتور كنج دهشته ولكنه لم يفه بكلمة ٠ وكان واضحا أنه لم يسمع قط بهذا المشروع ، وكان واضحا كذلك أنه لن يكون هناك جيش كهذا ٠٠ لذلك لم يورد أى مراسل هذا النبأ فى تقريره ٠

ثانيا ـ مارتن لوثر كنج ليس مثقفا :

عندما سمع الكثيرون عن بطل مونتجومرى أنه قس فى السابعة والعشرين حاصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة بوسطون اعتبروه منبيا من هارى ايمرسون (وانشتين) و « غاندى » ٠ صحيح أن « مارتن » واعظ ممتاز وخطيب مفوه الا أنه كمثقف يعانى من ضيق الأفق الذى يعانى منه جميع الذين تربوا تربية دينية ٠ والذين درسوا بطريقة الحلقة الدراسية ٠ ولا يمكن

بالطبع أن نقارن «مارتن لوثر كنج »بكبار المثقفين الزنوج المعاصرين أمثال « جون هوب فرانكلين » أو « فرانكلين فرازير » أو « دكتور جين نوبل » أو « جيمس بالدوين » ·

فما هو اذن دكتور مارتن لوثر كنج ؟

أولا : مارتن لوثر كنج هو أبرع من يعبر عن آلام الزنوج فى لغة يفهمونها ويستجيبون لها ، وهـذا هو السـحر الذى يسود الاجتماعات التى يحضرها فهو أول قس زنجى سمعته يلهب حماس الزنوج ويحول مشكلتهم الى مشكلة روحية ومع ذلك يحثهم عـلى البحث عن حل لها فى الحياة الدنيا وليس فى الآخرة ·

ثانيا : أن الدكتور كنج بوصفه نصيرا لعدم العنف يستطيع أن يجند لحركته الآلاف من البيض المعجبين بدعوته لعدم العنف · فالزنوج الامريكيون هم الوحيدون فى العالم اليوم الذين يستخدمون أسلوب العنف فى حل مشاكلهم : غزت الهند جوا ولجأ الشيوعيون الى العنف فى كوريا ولاوس وكذلك استجاب الغرب بالعنف · ومع ذلك فالدكتور كنج جاد فى دعوته الى عدم العنف · ومهما كان رأى المرء فى عدم العنف فان موقف الدكتور كنج يجعله ذا قيمة ضخمة · وهو يمثل رمزا كبيرا للزنوج فهو بالنسبة لهم كالقديس « بول » بالنسبة للمسيحيين فهو لا يكتفى بالدعوة الى رسالة وانما يشارك الجماهير فيما تقاسيه ·

هذا هو « مارتن لوثر كنج » الداعى للحقوق المدنية للزنوج · والآن فلنر تنظيمه : لقد تأسس مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبى على أساس أن القسس فى مختلف مدن الجنوب على استعداد لتولى مهام قيادة مجالاتهم للمطالبة بالحقوق المدنية · فهذا هو ما حدث فى مونتجومرى .الا أن شعبية هذا التنظيم على نطاق الجنوب ليست فى قوة نفوذه المحلى فى مونتجومرى لسببين : الأول أن قيادة هـذا

التنظيم من المعمودين فقط وهى احدى الملل المسيحية فى حين أن أهل الجنوب متعصبون جدا لكنائسهم ، والآخر أن القادة المحليين فى كل مدينة رأى كل منهم فى نفســـه « مارتن لوثر كنج » آخر ولذلك لم يرحبـــوا بأن يستولى التنظيم على القيـادة منهم « فهم يريدون » « مارتن لوثر كنج » نفسه ويعتبرونه قائدهم الا أنهم يرفضون الانضواء لتنظيمه ٠

ونتيجة لذلك فان مؤتمر القيادة المسيحية تنظيم مفكك يضم حوالى ٦٥ شعبة فى مختلف مدن الجنوب ٠ وليس معنى هذا أنه لا أثر له ولكنه أضعف تنظيميا من اتحاد تقدم الملونين مثـلا الذى يوجد له فرع فى كل مدينة تقريبا ٠

ويشغل منصب المدير المنظم للمؤتمر القس « ويات والكر » وهو العقل المدبر للأعمال التى يقوم بها التنظيم ٠ وقد استطاع فى عام ١٩٦١/٦٠ أن يجمع للتنظيم ١٩٣ ألف دولار فأين ذهبت هذه الأموال ؟ يجيب « والكر » على هذا السؤال بعرض برنامج التنظيم وأعماله :

١ ــ تسجيل الأصوات ٠٠ دفع الزنوج وتدريبهم على تسجيل أسمائهم فى جداول القيد الانتخابية فى مختلف المدن واقامة مراكز الدعاية ٠

٢ ــ أعمال عدم العنف : ينظم رحلات الحرية وهى الرحلات التى تقوم بها جماعات منظمة من الزنوج لممارسة أحد الحقوق المدنية عن طريق عدم العنف كدخول محال البيض أو ركوب الأوتوبيسات٠

٣ ــ يقوم التنظيم بتنسيق أعمال مختلف المنظمات الطلابية فى الجنوب وتمويلها ٠

٤ ــ وهناك ميدان جديد هو تدريب المواطن على اســـتعمال

حقوقه المدنية وغيرها ، فقد أقيمت عدة مراكز لتدريب صف ثان من قادة الزنوج يتعلمون فيها كيف يدرسـون القراءة والكتابة لجماهير الزنوج وتدريبهم على تدريس مختلف أساليب عدم العنف فى تحقيق المطالب المختلفة ، ومنها اختيار المرشح للكونجرس وقد أقيمت حتى فبراير عام ١٩٦٢ ــ ٥١ مدرسة من هذا النوع .

ولقد أحسن الدكتور كنج صنعا باختيار « والكر » منظمـا للمؤتمر فهو نشيط وحازم الا أنه يجلب المشاكل للتنظيم أيضا . ومشكلته الدائمة أنه يميل الى انتزاع القيادة من القيادات المحلية مما يثير الصراع بين مختلف التنظيمات وهذا الصراع هو الذى أدى الى فشل حركة المقاطعة فى « البانى » . فلقد نظم الطلاب حركة مشابهة لحركة مونتجومرى فى « البانى » فحاولوا تحطيم الفوارق بين البيض والسود فى الأوتوبيسات ثم رفعوا الامر الى القضاء . وكان اتحاد تقدم الملونين يريد السير بالقضـية فى المحاكم حتى يحصلوا على حكم بالغاء التفرقة ، أما لجنة الطلاب التى يمولها المؤتمر فأرادوا تنظيم رحلات للحرية . وسرعان ما تنظمت حركات المقاطعة وطار الدكتور كنج ووالكر الى « البانى » وكان لوجوده فعل السحر وقبض على المئات وأودعوا السجن ومعهم طبعا الدكتور كنج . وأعلن الدكتور كنج أنه لن يغادر السجن الا اذا حدث تغيير فى معاملة الزنوج . ولكنه سرعان ما أفرج عنه بكفالة وخرج مما أدى الى هبوط حركة « البانى » وانتهائها دون أن تحرز شيئا .

ولا أحد يدرى حتى اليوم لماذا غير الدكتور كنج رأيه ؟ .. لقد قال أنه فى انتظار أيام جديدة ومعارك جديدة فى المسـتقبل .. ونود أن نناقش هذا المستقبل . ولكن قبل أن نناقشه فلنلق نظرة على بقية المنظمات الداعية للحقوق المدنية حتى تكتمل الصورة .

٩ ـ اتحاد تقدم الملونين

فى عام ١٩٥٩ أتم اتحاد تقدم الملونين عامه الخمسين • وخلال نصف قرن من الكفاح حقق التنظيم سلسلة من الانتصارات القانونية باسم الزنوج واستطاع بحق أن يكون أهم تنظيم فى قيادات الزنوج • الا أنه فى المؤتمر الذى عقد فى عام ١٩٥٩ فى نيويورك وحضره ١٥٠٠ مندوب عن مختلف فروع التنظيم كانت تدب روح القلق والسخط •

كان الموضوع الذى يريدون الوصول فيه الى قرار هو : هل يمضى اتحاد تقدم الملونين الى اتخاذ سياسة العمل المباشر للاطاحة بمعاقل التفرقة ؟ فقد أدت مثل هذه السياسة الى نتائج مبشرة فى مونتجومرى وغيرها على حين لم تحرز السياسة القانونية لاتحاد تقدم الملونين سوى بعض النتائج فى قاعات المحاكم ولكنها غير ذات نتيجة عملية • كان المندوبون يريدون اثارة هذه المناقشة واتخاذ قرار فيها • الا أن دستور المنظمة يجعل تحديد سياسة المنظمة فى يد مجلسها التنفيذى فقط ، أما بقية الأعضاء فلهم حق تقديم المقترحات • واتخذ المندوبون الثائرون من قضية « روبرت ويليامز» مدخلا لاثارة قضيتهم •

وكان « روبرت ويليامز » رئيس فرع المنظمة فى مونرو بشمال كارولينا قد أدلى بتصريح صحفى قال فيه ان زنوج الجنوب سيستعملون السلاح اذا لزم الأمر لحماية أشخاصهم وممتلكاتهم • وكان هذا التصريح أقوى مما يحتمله البيض • وارتفعت الصيحات القائلة ان اتحاد تقدم الملونين يحث الزنوج على استعمال العنف • وسرعان ما اجتمع المجلس القومى وقرر فصل « روبرت ويليامز » على أساس أنه ليس من حقه أن يتكلم باسم الاتحاد فى المسائل العامة •

ولم يستطع المندوبون المطالبون بالغاء قرار الفصل أن يعملوا شيئا ازاء القادة الكثيرين الذين تكلموا مؤيدين فصل «ويليامز» . وهكذا نام الموضوع الأصلي ولم يجد من يبحثه . وفي اعتقادي أن موضوع اتخاذ الوسائل المباشرة للنضال لو كان قد طرح على المؤتمر لأقرته أغلبية كبيرة . ويبدو لي أن اتحاد تقدم الملونين يحجم عن القيام بهذا العمل . وفي الحقيقة فان قيادته تعاني أزمة كبيرة بعد التحدي الذي تواجهه من الحركات الجماهيرية المباشرة التي يقوم بها الدكتور « كنج » وتنظيمه . وصحيح أن الود سائد بين التنظيمين وبين « رودي ويلكنز » سكرتير اتحاد تقدم الملونين والدكتور « مارتن لوثر كنج » الا أن التحدي قائم . ومن الصعب الحصول على الموقف المحدد لاتحاد تقدم الملونين من مسألة الحركة الجماهيرية المباشرة . فمن ناحية نجد أن القيادة القومية للتنظيم تعلن أنها تؤيد الحركات المباشرة ، ومن ناحية أخرى نجد قيادات الفروع تشكو من عدم تأييد القيادة القومية في مجال الحركة المباشرة .

ورأيي أن اتحاد تقدم الملونين يعاني قوميا ومحليا من تاريخه هو نفسه . فلقد انشأته الفئة العليا من الزنوج ، وما زال يعكس رأيها برغم أن أعضاءه العاديين كلهم ليسوا من هذه الفئة . صحيح أن الاتحاد خاض معارك كثيرة من أجل الزنجي العادي الا أن المرء يحس أن اهتمامه الرئيسي هو بالزنجي الموهوب الذي يثبت حق الزنوج في المساواة . واذا ما قورنت قيادة التنظيم بغيرها من القيادات نجد أنها أميل الى أن تكون محافظة من القمة الى القاعدة . وصحيح أن غالبية التنظيم الآن (٨٠٪) من الزنوج من مختلف الفئات ، ولكن كما قلت من قبل ان الاتحاد ضحية لتاريخه . فهو يعيش على الانتصارات التي حققها قديما ولم يلق بالا الى التغيرات التي طرأت في السنين الأخيرة .

ويبدأ تاريخ اتحاد تقدم الملونين من الفترة التى بدأ فيهـــا زنوج الجنوب يجبرون على الانعزال ٠ وقد بدأت القصة فى الشمال الذى ــ برغم كل أخطائه ــ كان دائما مقرا لحريات نسبية ــ وقد أدى هذا الوضع الى هجرة الزنوج اليه ، منهم العمال ومنهم المثقفون الذين أتوا ليستغلوا هذه الحريات النسبية فى محاولة تحسين أوضاع بنى جلدتهم ٠

وهكذا ترك الدكتور « دى‌بوا » جامعة أتلانتا الى الشمال ٠ وهناك كون مع مجموعة من المثقفين الزنوج تنظيما يرمى لتحسين حال الزنوج معاديا للتفرقة العنصرية وتعاليم « بوكر واشنطون »٠ وعقدت الجماعة أولى اجتماعاتها فى كندا فى يونيو عام ١٩٠٥ وسموا أنفسهم « حركة نياجرا » ٠ وكانت الحركة تجتمع سنويا وخلال عامين ضمت لصفوفها عددا من الزنوج والبيض ٠ وكان معظـم الامريكيين من البيض أو السود يعتبرونها حركة راديكالية أكثر من اللازم ٠ وفى عام ١٩٠٨ حدثت مذبحة سبرنجفيلد فى ولاية الينوى ٠ وهزت هذه المذبحة ضمير بعض البيض الشرفاء فقرروا أن يتخذوا موقفا وما زال بعضهم حيا حتى الآن ــ « جين آدمز » ، «ويليام دين هوبل » ، « جون ديوى » ، « أرثر سبينجارن » ــ وأنشئوا تنظيما سموه الاتحاد القومى لتقدم الملونين ودعوا حركة نياجرا للانضمام لهم وقبل الدكتور « دى‌بوا » الدعوة وانضمت غالبية الحركة للتنظيم الجديد ــ ماعدا أفرادا قلائل ٠ وأصبح اتحاد تقدم الملونين تنظيما رسميا عام ١٩١٠ ٠ وكان الدكتور «دى‌بوا » هو الزنجى الوحيد فى المكتب القيادى ٠ وكانت أهداف التنظيم هى :

ــ الغاء التفرقة العنصرية ٠

ــ المساواة بين البيض والسود فى فرص التعليم .

– حق الانتخاب للزنوج .

– فرض تعديل المادتين ١٤ ، ١٥ من دستور الولايات المتحدة.

وقوبل هذا البرنامج بالرفض من كل البيض الذين كانوا يمولون مؤسسات الزنوج وكذلك من الزنوج المستفيدين من تلك المؤسسات . ولكن الاتحاد أصر على موقفه وأحرز عدة انتصارات مستخدما القانون كسلاح للتغير الاجتماعى . وحقق ثلاثة انتصارات دعمت مركزه خلال الخمسة عشر عاما الأولى من حياته . ففى ١٩١٥ كسب أمام المحكمة العليا قرارا بالغاء مسألة « النسب » التى كانت تحول دون تصويت الزنوج فى بعض الولايات . وفى ١٩١٧أصدرت المحكمة العليا قرارا بالغاء قرار لاحدى البلديات يخصص أماكن معينة لسكنى الزنوج . وفى ١٩٢٣ ألغت حكما صادرا باعدام زنجى لأن هيئة المحلفين لم تكن تضم زنوجا . وأكسبت هذه الانتصارات الاتحاد شعبية وتأييدا من جانب جماهير الزنوج وأحرار البيض . وأدت حركة الهجرة الى الاتساع فى عدد أعضائه . وفى عام ١٩٢١ بلغت فروعه أكثر من ٤٠٠ منتشرة على نطاق الولايات المتحدة ولقد نقد الاتحاد على عدم اهتمامه باتحادات العمال ولكنه رد على ذلك بأنه اختار التركيز على أفظع المساوى .

وتكونت « العصبة المدنية الحضرية » بعد تكوين اتحاد تقدم الملونين بعامين وجعلت هدفها العمال الزنوج . ولكنها لم تتدخل فى مسألة دور العمال الزنوج فى اتحادات العمال وانما جعلت همها مساعدة الزنوج المهاجرين .. أى ايجاد عمل لهم . وعملت كوسيط بين العمال وأصحاب الأعمال . فقامت بدور هام فى تخفيف حدة الشك بين الطرفين . وكانت تتلقى العون المالى مثل اتحاد تقدم الملونين من تبرعات البيض .

وبدأ الزنوج فى عام ١٩٢٠ ينظمون اتحادات عمالية خاصة

بهم مادامت الاتحادات البيضاء محرمة عليهم • واستمرت محاولاتهم حتى تمكن « فيليب راندولف » فى عام ١٩٢٥ من تنظيم اتحاد ، حمالى وخدم البولمان بمساعدة عدد من النقابيين البيض • واستطاع « راندولف » بعد جهد أن يكسب تأييد كل من اتحاد تقدم الملونين والعصبة الحضرية • على أن هذا الاتحاد لم يكسب الاعتراف الكامل من جانب أصحاب الأعمال الا فى عام ١٩٣٧ وبرغم هذا استطاع « راندولف » أن يزيد مرتبات العمال المنضمين الى الاتحاد (٨٠٠٠ عامل) بمقدار مليون ونصف مليون دولار • وجعلت هذه المعجزة من نقابات العمال الزنوج ثالث قيادة فى عملية تقدم الزنوج •

واستطاع اتحاد تقدم الملونين والعصبة الحضرية ورابطة حمالى عربات النوم ـ وهو اسم تنظيم راندولف ـ أن يدفعوا قضية خلاص الزنوج شوطا بعيدا خلال أزمة عام ١٩٣٠ • وارتفع نجم اتحاد تقدم الملونين خلال العقد الرابع أيضا بعد أن كسب عدة قضايا أدت الى ازالة التفرقة فى المرتبات بين المدرسين الزنوج والبيض فى بعض ولايات الجنوب • وصعد الى القمة بعد أن أفل نجم العصبة الحضرية لتهاونها فى تقديم العون للنقابيين الزنوج • وكان العامل المساعد الفعال فى هذا الازدهار هو هبة الحرية التى اجتاحت العالم فى أعقاب النازية ثم فى وجه الشيوعية • كما كان كل المثقفين الزنوج من الكتاب ورجال الدين والمدرسين والمحامين والاخصائيين الاجتماعيين ينضوون تحت لوائه •

الا أنه منذ عام ١٩٣٩ أصبح اتحاد تقدم الملونين تنظيمين بالفعل لما يسمى باتحاد تقدم الملونين وكان يرأسه « والتر هوايت » ويرأسه الآن « روى ويلكنز » ومؤسسة الدفاع القانونى والتعليم وكان يرأسها « ثير جود مارشال » ويرأسها الآن « جاك جرينبرج » • وكان السبب فى الانفصال هو اعفاء المساهمين فى مؤسسة الدفاع القانونى والتعليم من الضرائب ، اذ لما كان اتحاد تقدم الملونين

له قاعة فى الكونجرس (lobby) فان المساهمين فيه ليس لهم حق الاعفاء من الضرائب • وظل التنظيمان مع ذلك مرتبطين حتى عام ١٩٥٥ عند ما انفصل التنظيمان تماما دون ذكر الأسباب •

واليوم ينتاب اتحاد تقدم الملونين الانشقاق من الداخل والنقد من الخارج • وبرغم ذلك فهو أقدر وأكبر التنظيمـــات القيادية للزنوج • وفى عام ١٩٦٢ بلغ عدد أعضائه ٤٧١ر٠٦٠ منظمين فى ١٤٩٤ فرعا داخل ٤٨ ولاية ويبلغ دخله فى عام ١٩٦١ أكثر من مليون دولار •

فما هو اذن برنامج اتحاد تقـــدم الملونين •• بعـد البحث والتنقيب اتضح الآتى :

– أولا له قاعة فى الكونجرس يمارس منها تأثيره على النواب•

– لديه قسم للأبحاث يمد التنظيم بجميع المعلومات والأرقام اللازمة لجهوده •

– بارع فى تقديم العرائض والاحتجاجات والوصول الى من فى يدهم حل المشاكل •

– من خلال فروعه يمارس دفع الآباء الى ادخال أطفـالهم فى مدارس البيض للقضاء على التفرقة • أما مسألة القضايا فيتولاها التنظيم الآخر : مؤسسة الدفاع القانونى •

– يقف على أهبة الاستعداد لمديد العون الى أى تنظيم للزنوج فى مختلف المشاكل فلماذا اذن يعانى اتحاد تقدم الملونين من أزمة ؟

السبب فى رأيى أنه يجعل حجر الزاوية فى سياسة مسألة القضاء على التفرقة العنصرية فى المدارس •

من المؤكد أن التفرقة فى المدارس شىء كريه • وخصوصا فى

الجنوب حيث الاطفال الزنوج يعانون من التفرقة والاضطهاد وعدم المساواة ، ولا ينكر زنجي واحد أن التفرقة في المدارس شيء كريه. ويجب أن تلغى فورا . ولكن عيب هذه السياسة أنهـــا لا تجذب غالبية الجماهير . فهي دراما صغيرة أشخاصها عدة أطفال يتعرضون للأحجار من جانب طلبة المدرسة البيض . فهي عملية لا تشمل الا عددا صغيرا من الزنوج .

كذلك فهي مقصورة على الطلبة في حين أن هنـــاك المئات من خريجي المدارس الذين لا يجدون عملا ومئــــات غيرهم لن يدخلوا المدارس . ولعـــل أقوى دليل على أن مسألة التفرقة في المدارس ليست هي حجر الزاوية أنه بعد ٧ سنوات من الكفاح لا يزيد من التحقوا بالمدارس على ٧٪ من الاطفال الزنوج . فهل ستنتظر عملية القضاء على التفرقة العنصرية حتى تنتهي التفرقة في المدارس ؟

وهناك مشكلة مشابهة تماما ولكنها لا تجد أي اهتمام وهي مشكلة التفرقة بين المدرسين البيض والسود . كذلك يجد اتحـاد تقدم الملونين صعوبة في اقناع الآباء بادخال أطفالهم مدارس البيض أو في اتخاذ الاجراءات القانونية ضد المدارس التي ترفض .

ومعنى هذا كله أن التفرقة في المدارس ليست شيئا يجذب جماهير الزنوج . وانني أشك في أن المشكلة القائمة وراء التفرقة في المدارس هي مشكلة سيكولوجية . وهي الرغبة في الوجود مع الرجل الابيض .

فاذا نظرنا الى كل هذه المسألة من وجهة النظر التنظيمية نجد أن اتحاد تقدم الملونين قد فشل في أن يقدم برنامجـا يأسر عقول غالبية جماهير الزنوج . فأي تنظيم لا يستطيع اثارة حماسة جماهيره لبرنامجه لا بد أن يذبل وهذا هو ما حدث . فقد انخفضت عضوية

التنظيم عدة آلاف فى عام ١٩٦١ عنها فى عـــام ١٩٦٠ الى جانب النقص فى الميزانية ٠

ولقد أدى النقد الذى وجه لاتحاد تقدم الملونين خلال السنوات الثلاث الاخيرة الى بعض التغييرات فأصبح « روى ويلكنز » أقـل تشددا ، وأصبح المكتب التنفيذى لا يتجـــاهل ما أحرزته حركة الجالسين من انتصارات تفوق ما أحرزه السلاح القانونى فى ربع قرن ، وأصبحت التعليمات للفروع تتضمن القيام بالمظاهرات ٠٠٠ الخ ٠ وبرغم هذا كله فما زال الاتحاد أبعد بكثير عما حققته حركة الدكتور كنج ٠

ويعزو أعضاء اتحاد تقدم الملونين عدم تطوره الى أنه لا يسير فى داخله وفق أسلوب ديمـــوقراطى يعطى الفروع حرية الحركة المباشرة فى اللحظات المناسبة . وفى رأيى أن اتحاد تقدم الملونين هو أكثر التنظيمات اهتماما بالسياسة بعـد الحزبين الكبيرين فى الولايات المتحدة ٠ فهو يقيم أجهزته المختلفة من القاعدة للقيادة على أساس انتخاب جميع المســـتويات ٠ ويعقد الاتحاد مؤتمرا سنويا ينتخب فيه جزءا من مجلس الادارة ٠ اذ أن الاتحاد يقوده مجلس مكون من ٤٨ مديرا منتخبون لمدة ثلاث سنوات ويتغير ثلثهم كل عام فى المؤتمر ٠ وطريقة انتخاب هذا الثلث معقدة ٠ يقول عنهـا الساخطون انها ولو أنها عملية انتخاب الا أنها تتم فى الواقع على حسب مشيئة السكرتير العام ٠ كما أن مندوبى الفروع فى المؤتمر ليس لقراراتهم صفة الالزام اذ أن رسم السياسة العـــامة هو من حق مجلس الادارة فقط ٠

وينكر «روى ويلكنز» ـ السكرتير العام ـ هذه الاشياء ويصر على أن الامور تسير فى مجراها الطبيعى . الا أننى أعتقد » أنه اذا استطاع الساخطون كسب الحق فى تغيير مجلس الادارة كما يريدون

والحق فى رسم السياسة العامة ، أن تتغير الامور تغيرا جذريا فى الاتحاد • وليس من قبيل المصادفات ان الازمة الداخلية فى اتحاد تقدم الملونين تظهر فى الوقت الذى تزدهر فيــه تنظيمات أخرى • فلقد هزت أحداث السنوات الثلاث الماضية ايمان الناس والسلاح القانونى • ونريد الآن الخروج من المحاكم الى الجماهير مباشرة • ولقد أدت حركة مونتجومرى ثم حركة الجالسين الى ازدياد ايمان الناس بضرورة الحركة الجماهيرية المباشرة • ولا بد لنا اذن من تناول نشأة حركة الجالسين ومغزاها •

١٠ ــ حركة الجالسين

فى الاول من فبراير عام ١٩٦٠ دخل أربعة من طلاب السنة الاولى فى الكلية الفنية الزراعية الخاصـــــة بالزنوج فى جرينذبور بشمال كارولينا الى محال ولورث واتجهوا الى المطعم الخاص بالبيض وجلسوا فيه وطلبوا تنــاول الغذاء • ورفضت ادارة المطعم طلبهم وطلبت منهم الانصراف فرفضـــــوا وأخرجوا كتبهم وجلســـــوا يستذكرون • وعندما أعلن الراديو عن هذه الحـادثة تدفق عشرات الطلاب من الزنــوج الى المـكان وانضموا الى زملائهم • وهكذا بدأت المعركة الثانية بعد معركة مونتجومرى •

وكانت هذه المعركة كسابقتها ثورة على التفرقة العنصرية وعلى القيادة التقليدية للزنوج كذلك • ولقد قامت هذه الحركة فى منطقة كان البيض يعتبرونها « أمانا » وكان زنوج الشمال يعتبرون زنوجها من النوع « المسالم » ولكن هؤلاء الشباب أدهشوا العالم ــ وربما أنفسهم ــ بصلابتهم •

ولما ازدادت معـــارضة البيض أحس هؤلاء الشباب بضرورة استشارة بعض القـــادة • فذهبت لجنة منهم الى الدكتور « جورج

سينكنز » وكان يشغل منصب رئيس فرع اتحـــاد تقدم الملونين ويحظى باحترام جميع الزنوج • واستمع الدكتور الى قضيتهم ثم اتصل بمكتب « مؤتمر المساواة العنصرية » فى نيويورك •

ومنظمة « مؤتمر المساواة العنصرية » هى منظمة قديمة يزيد عمرها على عشرين عاما • اســتطاعت أن تحرز عدة انتصـــارات محدودة ولكنها قوية فى الغاء التفرقة فى مشروعات الاسكان والمطاعم فى نيويورك وشيكاغو • وكان أسلوبهـــا فى العمل هو الحركة الجماهيرية المباشرة وغير العنيفة • واستطاعت خلال تجربتها أن تصقل ذلك السلاح وتتقن استخدامه • وقد سألت الدكتور سيمكنز عن السبب فى اتصاله بمؤتمر المســاواة العنصرية وعدم اتصاله باتحاد تقدم الملونين فقال :

« لأننى أعرف كفايتهم فى هذا النوع من العمل وكنت متيقنا أنهم سيستطيعون اسداء المعونة » أى أنه كان يعرف عدم كفـــاية الاتحاد فى القيام بهذا العمل •

ولقد انبثقت حركة الطلبة فى جرينذبور من تلقـــاء نفسها لم يخططها أحد وانمـــا أتت نتيجة للتعب الذى أحس به الشباب وقرروا الجلوس • وهبت التنظيمـــات لمســاعدتهم ووصل الى جرينزبور ممثلون لثلاثة تنظيمات • وانبثق عن حركة الجالسين تنظيم رابع وهذه التنظيمـــات الاربعة تكون فى رأيى قلب حركة الزنوج الحالية •

فقد أرسلت منظمة مؤتمر المساواة العنصرية « لين هولت » ليدرب الطلاب على تكنيك عملية الاحتجاج غير العنيف • وجـوهر تدريبهم هو ضبط النفس •• الجلوس فى الاماكن المخصصة للبيض الصمت التام ، عدم الاستجابة لأى استفزاز أو عنف •

ووصل الدكتور «مارتن لوثر كنج» معبود الجماهير والطلاب ليلقى الخطابات ويقدم النصح وبعد عدة أيام وصل «هربرت رايت» سكرتير فرع الشباب باتحاد تقدم الملونين حيث أقام عدة فصول للتدريب على الاحتجاج • وكان قد سبق لهربرت أن قاد حمــلات مماثلة فى البوكيرك أدت الى الغاء التفرقة •

وانتشرت حركة الجالسين فى جميع مدن الجنوب •• وجذبت الى صفوفها جماهير واسعة من الزنوج كمـــا أيدها الكثيرون من البيض فى أكثر من مائة مدينة • ونتيجة لهذه الحركة ألغيتالتفرقة فى المطاعم فى أكثر من ثمانى مدن •

ومما يجدر ذكره أن القضية التى رفعتها حركة الجالسين أمام المحكمة العليا قد صدر الحكم فيها بالغاء التفرقة فى المطـــاعم فى اكتوبر عام ١٩٦١ •

لقد أقنعت حركة الجالسين الزنوج أن الحركة الجماهيرية هى الطريق الأقصر لالغاء التفرقة • وأدى هذا الى بزوغ ايمان جديد • فلم يعد الزنجى خائفا •• وكانت هذه العقيدة الجديدة هى خلاصة ثقافات البشرية حبها الزنجى فى آلامه وخرج منهـا بالعقيدة التى أملت عليه أن ينظم حركة مقاطعة الأوتوبيسات أو الجالسين •

ولقد كانت حركة الجالسين نصرا رئيسيا وحاسما من ناحية، وتدعيما لأصحاب فكرة الحركة الجماهيرية المباشرة من جهة أخرى• ولهذا الســـبب فهى بداية النهاية للقيـــادة الكلاسيكية لمنظمات الزنوج • ولقد نتج عن هذه الحركة شيئان : تنظيم ومنهج •

فبرغم أن حركة الطلاب قد حصلت على العون من التنظيمات الثلاثة الكبرى فانها قررت أن تقيم تنظيما مستقلا . فقد كان من رأيهم أن الطلاب يمكنهم أن يحرزوا انتصارات أوسع على أساس

حركات الاحتجاج غير العنيفة اذا ما نظمت هذه الاعمال لجنة تنسيق على نطاق الجنوب كله . وهكذا أنشئوا « لجنة التنسيق الطلابية للأعمال غير العنيفة » المسماة اختصارا « سنبك » التى اتخذت مقرا لها فى اتلانتا ورئيسا هو « تشارلز ماك ديو » . ولكن الرجل الذى جذب الانتباه هو المدير التنفيذى للمنظمة «جيمس فورمان» .

وقد تخرج « فورمان » من المدرسة العليا فى شيكاغو ونال درجته الجـامعية من جامعة روزفلت ثم التـحق بمعهد الشئون الافريقية بجامعة بوسطن ولما نشبت الاضطرابات فى موطنه بمقاطعة مارشال فى المسيسيبى سارع بالرحيل الى هناك وقام بمجهود جبار فى اعانة قومه الذين كانوا قد طردوا من مسـاكنهم لانهم حاولوا تسجيل أسمائهم فى جداول الناخبين . ولمع اسمه ولما خلا منصب السكرتير التنفيذى لمنظمة الطلاب عرضوه عليه فقبل . وأصبحت المنظمة ليست مجرد تنظيم طلابى وانمـا تنظيما لشباب الزنوج المصممين على انهاء التفرقة بأى ثمن . وأصبح « فورمان » العقل الناضج والروح الملتهب فى كل أعمـال المنظمة ولن أدهش اذا ما أصبح هذا التنظيم هو التنظيم القيادى الوحيد فى الجنوب .

وبلغت ميزانية « سنبك » ١٤ ألف دولار فى عـام ١٩٦١ وستبلغ ٣٠ ألفا فى عام ١٩٦٢ وتديرهـا هيئة من ١٦ . كان برنامجها لعام ٦١ هو الآتى :

- الاشتراك الفعال فى تسجيل أسماء الناخبين فى جداول القيد فى مختلف مدن الجنوب .
- الاشتراك فى رحلات الحرية فى المسيسيبى وألاباما .
- تنظيم حركات الجالسين .

ويحصـل « سـنبك على ميزانيته من حركات الطلاب فى

الشمال ثم من منظمة الدكتور كنج ، كما خصص اتحـــاد تقدم الملونين بعض المال لدفع الغرامات والكفالات للمتظـــاهرين من أعضائه ٠ وفى النهاية أصبح « سنبك » على قدم المساواة مع بقية المنظمات ٠

وكان الشيء الثانى الذى انبثـــق عن حركة الجالســين هو استخدام الزنوج لسلاح المقاطعة الاقتصادية لتأييد مظـــاهرات الطلبة ٠ وحدث هذا فى عدة مدن أبرزها ناشـــفيل فى تنيس ٠ فعندما لم يستجب تجار ناشفيل لمظاهرات الطلبة بالغاء التفرقة فى المطاعم ٠ توقف الزنوج عن التعامل معهم – وهم ينفقون سنويا حوالى ٧ مليون دولار – وفى عيد الفصح امتنـــع حوالى ٩٠٪ من زنوج المدينة عن شراء لوازم العيد مما أدى الى كارثة اقتصـــادية ٠ وفى شهر مايو كان المسئولون البيض يودون التفاهم مع الزنوج وطلبوا مفاوضة وفد يمثل الأهالى وحركة الجالسين ٠ وقبل الزنوج العرض وسرعان ما أصبح من حق الطلاب الزنوج الدخول الى مطاعم البيض ونجحت الحركة ٠

وفى جورجيا استخدم اتحاد تقدم الملونين تكنيكا مماثلا أدى الى الغاء التفرقة فى المطاعم كذلك . وهكذا انبثـق عن حركـة الجالسين تكنيك جديد وهو المقاطعة الاقتصادية لتأييد حركات الغاء التفرقة وكانت هذه بداية لتحالف جميع الزنوج فى القيــام برحلات الحرية .

١١ – رحلات الحرية

فى أواخر عام ١٩٦٠ استقال « جيمس فارمر » منفذ برامج اتحاد تقدم الملونين ٠ وفى فبراير عام ١٩٦١ أصبح « جيمس فارمر » مديرا لمنظمة مؤتمر المساواة العنصرية ٠ وفى ١٣ من مارس أعلنت المنظمة أنها ستنظم رحلات الحرية فى أرجاء الجنوب ٠ وهى رحلات

القصد منها الكشف عن التفرقة العنصرية فى معاملة الركاب بين الولايات المختلفة ٠ وكتب فارمر الى الرئيس كنيدى يطلب حماية هذه الرحلات ٠ وفى ٤ من مايو بعد فترة من التـدريب بدأت أولى هذه الرحلات من واشنطن ٠

ولقد كانت فكرة القيـــام بهذه الرحلات تداعب خيال فارمر حتى تمكن من تنفيذها ٠ وفارمر قس بروتستنتى عرف دائما بأنه رجل عمل ٠ وكان من الزنوج المؤسسين لمنظمة مؤتمر المســاواة العنصرية فى عام ١٩٤٢ ٠ ثم رأس المنظمة فترة من الوقت ٠ وفى عام ١٩٤٧ اشترك فى أول رحلة للحرية وكان هدفهـا الكشف عن التفرقة العنصرية فى معـــاملة ركاب القطارات بين الولايات ومدى خضوع بعض ولايات الجنوب لقرار المحكمة العليا الذى صدر فى عام ١٩٤٦ وأوصى بالغاء التفرقة التى تجعل من السفر صـــعوبة لا مبرر لها ٠

وعندما عاد « فارمر » لتولى منصب مديـر مؤتمر المـساواة العنصرية تذكر قرارا آخر للمحكمة العليـــا يقضى بأن التفرقة فى المعاملة فى محطات الأوتوبيس غير قانونى سواء كانت تلك المحطات مملوكة لشركات أو للدولة ٠ ولقد ظل هذا القرار حبرا على ورق وقرر فارمر أن يعالج هذا الموضوع ٠

وبعد أن تبادل الرأى مع السكرتير التنفيذى للمنظمة « مارفن ريتشى » اتصل « بروى ويلكنز » رئيس اتحاد تقدم الملونين وعرض عليه الفكرة فوعده بالمساعدة وكتب الى فروع الاتحـــاد بمختلف المدن التى ستمر بها الرحلة لتقدم العون له ٠

وفى ٤ من مايو قامت أول رحلة للحرية من واشنطن قاصدة نيو اورليانز وكان عدد المشتركين فيها ١٣ ستة من البيض ، ٧ من الزنوج بما فيهم « جيمس فارمر » ٠ وكانت أعمـــارهم تتردد بين الثامنة عشرة والواحدة والستين كما اختلف عددهم خلال الرحلة ٠

ولقد كان سجل الرحلة التى استمرت حتى ٢٩ من مايو سجلا حافلا بالمعارك والمشاحنات والقضايا والاحتكاك بالبوليس . وكان خط سيرها يمر بعدة مدن وفى كل مدينة وفى كل محطة يحـــاول السود أن يدخلوا المحال المخصصة للبيض ويطالبوا بحقهم . وعند ذلك كان رجال البوليس يقبضون عليهم بحجة الاخلال بالأمن . واختلفت المعاملة من ولاية الى أخرى ومن مدينة لأخرى . وطالبوا بحماية القوات الاتحادية . وعندما وصلت الرحلة الى مونتجومرى فى ١٧ من مايو اشتركت فيها ثلاثة تنظيمات أخرى : حركة طلاب ناشفيل ، ولجنة التنسيق الطلابية ، ومؤتمر القيادة المسيحية .وفى ٢١ من مايو وصل الدكتـــور « مارتن لوثر كنج » الى مونتجومرى لالقاء خطاب فى احدى الكنائس وحاصر البيض الكنيسة واتصـــل المحافظ بالنائب العام « كنيدى » وتوتر الجـــو . وأعلن الحزب النازى الأمريكى أنه سيقوم « برحلة كراهية » من واشـــنطن الى نيو اورليانز . وازداد تدفق الطلاب على رحلة الحرية من ناشفيل ونيو أورليانز . وفى أثناء ذلك وصـــلت « رحلة الكراهية » الى مونتجومرى فى طريقها الى نيو أورليانز . وعقد الدكتور (مارتن لوثر كنج) وممثلو التنظيمات الأخرى مؤتمرا صحفيا أعلنوا فيه أن الرحلة ستستمر بأى ثمن . وغادرت الرحلة مونتجومرى مصحوبة بحرس قوى وعند وصولها الى جاكسون ألقى القبض على (جيمس فارمر) عند محاولته استخدام الأمكنة المخصصة للبيض فى المحطة. وازداد تدفق الاعضاء على رحلة الحرية . وأبرق المدعى العام طالبا من المسئولين عن الرحلة أن يتوقفوا حتى يهدأ الجو فرفض الدكتور كنج . واســـتمرت الرحلة بهذا الشكل حتى يوم ٢٩ عندما طلب المدعى العام « كنيدى » من اللجنة التجارية للولايات أن تصدر أمرا بالغاء التفرقة فى المحطـات . وفى ٢٢ من سبتمبر أصدرت اللجنة قرارا بذلك .

وهكذا حقق مؤتمر المساواة العنصرية نصرا آخر ٠ وقد اشترك فى هذه الرحلات أكثر من ألف شخص ينتمون لأربع منظمـات ٠ وتكلفت الرحـــلات ما يقرب من ٢٠ ألف دولار وبلغت تكاليف القضايا ٣٠٠ ألف دولار ٠

وبرز مؤتمر المساواة العنصرية بوصفه أجرأ التنظيمـــات وأوسعها أفقا ٠ ولقد حقق هذا التنظيم فيما مضى بعض المكاسب ولكن هذا النصر وضـعه فى مستوى أقوى التنظيمات ٠ فازدادت العضوية الى ٤٠ ألف عضو وأصبح أكثر من نصـــف الأعضاء من الزنوج وكانوا قبلا لايزيدون على الربع ٠ كمـــا بلغت ميزانيـــة التنظيم حتى فبراير عام ١٩٦٢ أكثر من ٥٠٠ ألف دولار ٠ وقفز « جيمس فارمر » الى الصف الاول من القـادة ٠ ولهذا أفليس من العجيب أن نرى النقد يوجه الآن على صفحات الصحف لجيمس فارمر ومؤتمر المساواة العنصرية ٠ وتضم صفوف المنظمة شخصيات مثل مسز روزفلت ، وتالولابانكهيد ، وهيلين هايز ، وعلى أى حال فلا ينحدر الاعضاء من أصول محافظة كالتى تساند اتحاد تقدم الملونين وتكمن عبقرية هذا التنظيم فى اصراره على أن الحركة الجمـاهيرية المباشرة هى السبيل الوحيد للوصول الى نتائج عملية وأن دفع الجماهير صاحبة المصلحـة للحصول على حقوقهـا بيديها هو أضمن الأساليب ٠

وتنوى المنظمة القيام بنوع آخر من الرحلات ٠ فقد شجعتها القرارات التى اتخذتها المحكمة العليا أخيرا على أن تحاول الكشف عن التفرقة فى المعاملة فى الفنادق ويقتنع القادة أنهم سوف يحققون نجاحا أكثر فى هذا السبيل ٠

١٢ ـ الازمة فى قيادة الزنوج

فى عرضنا لنشوء ثورة الزنوج تعرضنا للتشكيلات التنظيمية وبرامج عـدد من التنظيمات القيـادية للزنوج ٠ ومن الواضـح أن برامجهـا جميعا تتداخـل بل وتتنافس ٠ مما يؤدى الى اضـطراب الصورة أمام من يحاول دراسة العلاقات العنصرية فى أمريكا ٠ بل لقد أدى هذا الموقف فعلا الى أزمة فى القيادة يجب أن تحل اذا لم ترد التنظيمات المطـالبة بالحقوق المدنية أن تصبح هى نفسها جزءا من المشكلة التى تحاول أن تحلها ٠

بعد عودة الدكتور « مارتن لوثر كنج » من البانى الى أتلانتا صرح فى مؤتمر صحفى بأن الحاجة ماسة الى عقد مؤتمر قمة لقادة الزنوج لتقرير الهدف الذى يتجهون اليه ٠ وكان الدكتور كنج فى هذا يردد نغمة شائعة ٠ واعتقد أن الخطى السريعة التى تسير بها ثورة الزنوج ستفرض عقد مثل هذا الاجتماع عاجلا أو آجلا ٠ اذ أن هذا هو السبيل الوحيد لحل أزمة القيـادة الحالية ٠ ولكى نفحص هذه الأزمة يجب القاء نظرة سريعة على الموقف الحالى للتنظيمـات المختلفة ٠

عندما قررت حركة مونتجومرى أن يكون هدفها الغاء التفرقة العنصرية فى الأوتوبيسات بدلا من المطالبة باحترام حقوق السود فى جزء خاص من العربات دخلت بذلك فى مجـال النضال الذى يشنه اتحاد تقدم الملونين ٠ وهكذا نجد أن مؤتمر القيادة المسيحية الذى يرأسه الدكتور كنج واتحاد تقدم الملونين يسـعيان لنفس الهدف ٠ وعندما قامت حركة الجالسين وأيدها مؤتمر المسـاواة العنصرية واختار الطلبة أن يكونوا تنظيما خاصا بهم دخل هـذا التنظيم المجال الذى كان يحتله من قبل اتحاد تقدم الملونين ومؤتمر القيادة المسيحية ٠

وتلا ذلك رحلات الحرية التى دفعت بمؤتمر المساواة العنصرية الى المقدمة • وهكذا نجد أربعة تنظيمات رئيسية تعمل فى نفس المجال •• المطالبة بالحقوق المدنية • ويزداد تعقد الصورة عندما نبحث مشكلة التمويل •• فنجد أن مؤسسة الدفاع القانونى والتعليم هى التى تحملت المصروفات القانونية لرحلات الحرية وليس اتحاد تقدم الملونين • وفى الوقت نفسه يمول اتحاد تقدم الملونين هيئة قانونية خاصة به • ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتى :

ـ مؤتمر المساواة العنصرية وهو قيادة جريئة فى استطاعتها حشد الشباب للقيام بالمظاهرات • ويمول المؤتمر هذه المظاهرات فى حدود امكانياته •

ـ وتستند حركات الطلاب الى تمويل اتحاد تقدم الملونين ومؤتمر القيادة المسيحية على أن أكبر مورد لهم يأتى من اتحاد الطلاب البيض فى الشمال •

ـ والميزة الوحيدة لمؤتمر القيادة المسيحية هو الدكتور كنج نفسه • اذ أنه يستطيع أن يجمع تبرعات وافرة • وللتنظيم ٦٥ فرعا فى ثمانى ولايات جنوبية •

أما مؤسسة الدفاع عن القانون والتعليم فهى بحكم القانون مقصورة على المسائل القانونية وتفقد حقها فى الاعفاء من الضرائب اذا خرجت عن هذا النشاط • وهى تقدم المساعدة لكل من يتعرضون لاضطهاد التفرقة بما فى ذلك أعضاء المنظمات الأخرى • وهى تقدم النصائح القانونية لكل من يطلبها •

ولعل أخطر أزمة هى التى تواجهها قيادة اتحاد تقدم الملونين• فالمرء لا يستطيع أن يفهم ما اذا كانت هذه القيادة على استعداد للقيام بالحركات الجماهيرية الواسعة أولا ؟ فنجد أن سكرتيرها

التنفيذى « روى ويلكنز » ينكر أن المنظمة منظمة « قانونية » أساسا كما يدعى ناقدوها بل انها تنظيم جماهيرى • والدليل على ذلك سجل العضوية واشتراك أعضاء المنظمة فى جميع الأعمال الجماهيرية كحركة الجالسين ورحلات الحرية •

ولكن هل هذا يعنى أن المكتب القيادى يوافق على النشـاط الجماهيرى ؟ الواقع أننى لم أستطع الحصول على تصريح واحد من أحد أعضائه بتأييد ذلك • بل لقد صرح لى « جاكى روبنسون » بأن التنظيم لا يسد حاجة الجماهير وأن الكثيرين قد طلبوا منه تكوين تنظيم جديد للمطالبة بالحقوق المدنية يكون أقرب للجماهير • وهناك كذلك الدكتور « جون مورسل » المساعد التنفيذى « لروى ويلكنز » الذى تحدث عن أساليب العمل التى يستخدمها « الدكتور كنج » وغيره فقال « نحن ــ اتحاد تقدم الملونين ــ لا نستطيع أن نوافق على سياسة العصيان المدنى الا تحت ظروف قاهرة تضطرنا الى نبذ الفلسفة التى اتبعناها منذ خمسين عاما ••

فماذا يعنى كل ذلك •• أزمـة أو مجرد اضطراب وبلبلة ؟

من وجهة نظر الثوره هذه بلبلة ، ومن وجهة نظر التنظيمات المطالبة بالحقوق المدنية هذه أزمة • وعلى أى حال فالثورة مستمرة بغض النظر عمـا تفعله هذه التنظيمات ، فجمـاهير الزنوج قلقة وغاضبة وملت المعارك القـانونية الطويلة التى تنتهى بقرار ليس الا حبرا على ورق • ولقد أحس الدكتور كنج وغيره بهـذه الروح ولذلك استطاعوا أن يحققوا نصراً كبيراً • وهذا هو السبب فى أن جميع التنظيمات ما عدا اتحاد تقدم الملونين قد ازدادت عضويتها خلال عامى ١٩٦٠ ، ١٩٦١ • ويلوم « روى ويلكنز » نفسـه على ذلك فيقول لى : ــ

« دعنى نواجه الأمر بصراحة فأنا لست شخصية دراميـة مثل

بعض القـــادة الآخرين وربما كان هذا جزءا من مشـــكلتنا ٠٠ ان التنظيمات الأخرى مثل مؤتمر المساواة العنصرية والدكتور كنج يعرفون كيف يعلنون عن بضاعتهم ، وربما نحن قد فشلنا فى ذلك ٠٠ فالناس لا يعرفون شيئا عن بضـــاعتنا ، ولذلك فهم يظنون أن لاشيء لدينا » ٠

والحقيقة أن الزنوج قد سئموا الطريقة التى قاد بها اتحاد تقدم الملونين الحركة ٠ انهم يريدون تخطيها ٠٠ واذا كان البعض يلومون « روى ويلكنز » على أنه لم يشـــترك فى المظاهرات ويدخل السجن مثلهم فلعلهم لا يعلمون أن روى ويلكنز قد دخل السجن قبلهم بعشرين عاما عندما كان زعماء طلبة اليوم لم يولدوا بعد ٠

ولقد جالست الكثيرين من زعمـــاء المطالبين بالتحرك الفعلى والعمل الجماهيرى الواسع ، والمطالبين بأن يخرج القادة من مكاتبهم ويسيروا معهم فى الطرقات ويدخلوا معهم السجون ٠ الا أن المشكلة فى رأيى ليست فى أن يكون أو لا يكون على رأس التنظيم قـــادة لا يستطيعون الذهاب الى السجون ٠ انما المسألة أن الزنوج قد فقدوا كل ثقة فى جهاز السلطة الأبيض ٠ فهم غير مقتنعين بأن جهاز الدولة سيخضع لأى قرار بالغـــاء التفرقة ، ولهذا فهم يطالبون بالحركة الجماهيرية الواسعة لفرض هذا التغير ، وهذا سيستدعى بالطبع أن يبذل الجميع قيادة وقاعدة شيئا من حريتهم وأجسامهم ٠٠ وهم لا يثقون فى أن أية مفاوضات ستؤدى الى نتائج ، ولذلك يطالبون بأن تكون كل المفاوضات عن طريق أحكام المحاكم فقط ٠ ولعل أبرز مثل على ذلك هى قضايا الغاء التفرقة فى مدارس الشمال ٠ ففى مدينـــة نيويورك أرغم طفل زنجى على التقدم لمدرسة تمارس فيها التفرقة فاشتكى أبواه الى فرع اتحـــاد تقدم الملونين الذى أغرق الموضوع فى سيل من المناقشة ٠ فلجأ الأبوان الى المحامى الزنجى

« بول زوبر » من نيويورك الذى رفع قضية يطالب فيها الادارة التعليمية بمدينة نيويورك أن يكون فتح باب القيد فى جميع المدارس ميسرا للجميع حتى يستطيع الزنوج أن يتقدموا الى أية مدرسة . واستطاع « بول زوبر » بمعونة « ثير جود مارشال » أن يكسب القضية . وما ان كسب زوبر القضية حتى انهالت عليه الدعوات من جميع مدن الشمال تطالبه برفع قضايا مماثلة . ووجد اتحاد تقدم الملونين نفسه فى أزمة .. وقال لى أحد أعضائه « انه ليس من قبيل المصادفات أن يقل عدد أعضائنا فالناس يسألوننا لماذا لم نرفع القضايا ضد الادارة التعليمية وليس لدينا ما نجيب عليهم به » .

والأغرب من هذا أن فرع اتحاد تقدم الملونين فى مدينة نيويورك استعان بالمحامى « بول زوبر » فى قضية مماثلة مهملا شأن المحامين التابعين له . وربما كان ذلك لأن الناس كانوا يحسون أن زوبر سيكون أكثر جدية وفعالية فى عمله .

وهكذا تتطور الأزمة ، فجماهير الزنوج تطالب بالعمل الحاسم الفورى وعندما تتردد التنظيمات القيادية يتخطاها الناس .

وحتى فى مدينة نيويورك — التى بها ثلاثة عشر فرعا لاتحاد تقدم الملونين — يلجأ الناس الى زوبر متخطين هذه اللجان . وفى مدينة نيويورك هذه أحرز زوبر أعظم انتصاراته عندما اضطر المشرفين على المدارس الى أن يعلنوا أنهم سيفتحون باب القيد فى جميع المدارس بلا تحديد . وهكذا نجد أنه حتى فى ميدان التفرقة فى المدارس ، وهو الميدان الذى يعتبره « روى ويلكنز » المفتاح لحل قضية التفرقة العنصرية ، لم يحرز اتحاد تقدم الملونين فيه السبق الكافى .

واذا ما حاولنا معرفة أحوال « بول زوبر » سندهش اذا عرفنا أنه لم يربح شيئا من هذه القضايا العدة التى رفعها بل انه اضطر

لاقفال مكتبه فى مدينة نيويورك لضيق ذات اليد • وهو يعلم جيدا ماذا يفعل • وانى أتوقع أنه اذا ما أفلحت الحركة الرامية الى انشاء هيئة خاصة بمعالجة مسألة التفرقة فى مدارس الشمال فان « بول زوبر » سيكون على رأسها • وهذا مما سيبعث مزيدا من الاضطراب فى قيادة اتحاد تقدم الملونين •

ولقد ناقشت هذه المسألة باسهاب لأبين أنه يوجد اتجاه متعاظم لدى جماهير الزنوج للبحث عن حل لمشاكلهم دون الرجوع الى القيادات التقليدية • وهذا الأمر سيصيب اتحاد تقدم الملونين بأبلغ الأضرار لأنه أكبر هذه القيادات •

ان اللوم الذى يلقى على عاتق اتحاد تقدم الملونين سواء فى هذا الكتاب أو بين الزنوج عامة يرجع الى الارتباط الانفعالى القوى بين الزنوج وبينه • وبرغم قيام عدة تنظيمات فان اتحـــاد تقدم الملونين ما زال يستحوذ على حب وتعلق الغالبية ، فما زال أكبر وأغنى التنظيمات وأكثرها فعالية فى مجال الحقوق المدنية • وكان اتحاد تقدم الملونين أخاً لكل زنجى فى أيام المحنة عندما كان الزنجى لا يجرؤ أن يفتح فمه • ولقد كانت أعماله هى التى مهدت الطريق لثورة الزنوج • واذا كنا ننقده اليوم فلأننا لا نريد له مصير «يوشع» الذى قاد أبناءه الى الارض الموعودة وداسته الأقدام على أبواب المدينة فى اندفاعها نحو الفردوس الموعود • فاما أن يتغير اتحاد تقدم الملونين مع الزمن واما سيندثر •

أما فيما يتعلق بتنظيمات الحقوق المدنية الأخرى فأزمة القيادة بالنسبة لها راجعة الى تداخل البرامج وانعدام التنسيق • وانه مما يفيد الجميع أن يوحدوا جهـــودهم وينسقوا العمل بينهم ويوزعوا المسئوليات عليهم • وانه من المهم أن يفهم البيض والسود على السواء ذلك : السود حتى لا تتحول الثورة الى فوضى ، والبيض حتى يعرفوا

أنهم يتعاملون مع قادة مسئولين • فاذا فشل البيض فى التعامل مع قادة مسئولين فان قيادة حركة الزنوج كما يقول الدكتور « جاردنر بتلور » « ستقع خاصة فى المدن الكبيرة ، فى أيدى المتطرفين الذين ينادون بالعنف مما يهدد كل ما تمثله أمريكا » •

١٣ ـ المسلمون السود

ان أكثر أشكال ثورة الزنوج تطرفا يتمثل فى ظهور «ايليا محمد » وأتباعه المعروفين بأمة الاسلام أو المسلمين السود • ولقد أطلق عليهم الدكتور « أريك لنكولن » هذه التسمية الأخيرة فى رسالته للدكتوراه • وهم لايستعملون هذه التسـمية ولـكنهم لا يعترضون عليها •

ولقد بدأت معرفتى بهم فى احدى أمسيات عام ١٩٥٨ عندما كنت أسير فى هارلم وبصحبتى أحد أصدقائى الزنوج ومعه زوجته البيضاء • وعلى أحد النواصى وقف زنجى تحت راية أمريكية وقد تجمع حوله لفيف من بنى جنسه وكان يقول مشيرا الى العلم الامريكى لاتظنوا انى أرفعه لانى أحترمه أو واثق فيه ولكن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تسمح لى بابداء رأيى دون أن القى فى السجن• واندفع الخطيب بعد ذلك فى حوار خطابى يصف فيه الرجل الابيض بأبشع النعوت ويصـور الحياة القاسية التى يحياها الزنوج وكيف أنهم فريسة لعصابة من اليهود الذين يستغلونهم أبشع اسـتغلال ثم تقدم أحد الزنوج من صديقى يوبخه لأنه فى صحبة امرأة بيضـاء فاضطررنا للانسحاب •

وبعد عام تقريبا من هذه الحادثة انضممت لهيئة التليفزيون وأعدت برنامجا عن خطباء حى هارلم • ودرت بالميكروفون فى أنحاء هارلم • وأكتشفت أن كل هؤلاء الخطباء هم ممثلون لمنظمات افريقية وطنية تنكر كل ما هو أمريكى ويعتبر أعضاؤها أنفسهم افريقيين •

وعرفت أن وراء ذلك مجموعة تسمى « بالمسلمين » وكنت أعتقد أن هؤلاء المسلمين ليسوا الا معتنقين للدين الاسلامى • الا أنه تبين لى أن الامر أكبر من ذلك • وبعد البحث والتنقيب والمواعيد والمقابلات تجمعت لدى معلومات أدت الى اخراج البرنامج التليفزيونى « الحقد الذى ولده الحقد » ويبدأ البرنامج بالمشـــهد الختـــامى لاحدى المسرحيـات التى يمثلها المسلمون السود وتسمى « المحاكمة » حيث يحاكم الرجل الأبيض بوساطة سكان العالم لجرائمه ضد الســود ويختتم الادعاء مرافعته بالكلمة التالية : « انى أتهم الرجل الأبيض بأنه أكبر كذاب على الأرض • وأكبر سكير على الأرض وأكبر مقـامر على الأرض وأكبر سفاح على الأرض • وأكبر محطم للســـلام على الأرض ، وأكبر مفســـد على الأرض وأكبر لص على الأرض وأكبر مخادع على الأرض •• اننا أيها السادة المحلفون نطالبكم بأن تحكموا عليه بأنه مذنب » •

ويتعالى التصفيق عندما تعلن هيئـــة المحلفين ادانة الرجل الأبيض والحكم عليه بالاعدام • ولقد عرضت هـــذه المسرحية على جميع مسارح مدن الشمال وعرضت مرتين فى مدينة نيويورك وهى تعرض طبيعة وهدف المسلمين السود بشكل واف •

وتضم حركة المسلمين السود قرابة ربع مليون زنجى ــ على حين يقدرها الخبراء بحوالى ١٠٠ر٠٠٠ وزعيمها هو « ايليا محمد » • ويبلغ من العمر ستين عاما • قضى معظم شـــبابه يعمل قسـا بروتستنتيا • وهو بسيط الهيئة ضئيل الجسم من الصـــعب على الانسان أن يتصور أنه الروح المحركة لعقيدة تدرس اليوم فى أكثر من خمسين مدرسة على نطاق الأمة كلها • وعندما يتكلم « ايليـــا محمد » تحد سامعيه يجلسون مبهورى الأنفاس خلال الســـاعات الطوال التى يبشر فيها بتعاليمه •

ولقد تقدم العمر « بايليا محمد » وضعفت صـــحته • وفى

نهاية عام ١٩٦١ اشترى منزلا فى اريزونا ليستشفى فيه · ويدير شئونه ويرتب مقابلاته السيد « مالــــكولم اكس » الذى يعتبره الكثيرون خليفــة ايليا محمد · وهو طويل القــامة فاتح اللون له دراية واسعة بسيكولوجية الجماهير · ولقد قضى مالـــكولم اكس فترة فى السجن عقوبة حكم عليه بها فى احدى السرقات · الا أنه اليوم تائب فلا يدخن أو يشرب الخمر · وقال ان هذا التغير طرأ عليه عندما استمع يوما الى ايليا محمد ·

وموقف المسلمين السود من امريكا هو النكران التام · فهم يعتبرون أنفسهم « أمة » فلا يدلون بأصواتهم فى الانتخابات ولا يتدخلون فى الشئون السياسية · وتغطى نســــاؤهم وجوههن ويرتدين ثيابا طويلة بيضاء · ولهم محالهم الخاصة بهم · ولقـد دارت بينى وبين « مالكولم اكس » محادثة حاولت فيها أن أفهم منه موجزا لعقيدتهم يمكن تلخيصها فى الآتى : ان السود هم أبنــاء الله الوحيدون وأن الزنوج الأمريكيين هم خلفاؤهم ـ وأن الحيـة التى أغوت آدم رمز للرجل الأبيض ـ وأن الرجـل الأبيض شرير بطبيعته والأسود خير بطبيعته ـ وأن لهم جامعتين اسلاميتين واحدة فى شيكاغو والأخرى فى ديروت · يدخلها الأطفال منذ الحضانة حتى يتخرجوا رجالا ـ وفى هذه المدارس يتعلمون أن الشيطان هو الرجل الأبيض ـ وأنه غير مسموح للبيض بالانضمام اليهم ـ وأن حبهم بعضهم لبعض شديد لدرجة أنه لايوجد مكان لحب الرجـــل الابيض ·

ان ايليا محمد يرى أن الأسود مقدس والأبيض شرير · وأن السود على نطاق العالم كله مقدسون أطهار ولذلك فهم متوحدون ، وأن أضعف حلقة فى الســـود هى زنوج أمريكا المختلطين بالرجل الأبيض · ولذلك فاستيلاء السود على السلطة فى العالم متوقف على

انعزال السود عن البيض فى أمريكا ، ولذلك فهو يطالب ببعض الولايات التى يقيم فيها السود أمتهم .

على أن الكثيرين لايأخذون مطالبه هذه على محمل الجد . كما أن أتباعه ليسوا على درجة من الثقافة والادراك الاسلامى بما يبدو من حديث قادتهم الا أن دعوته على أى حال قد استرعت نظر الكثيرين من الزنوج المتعقلين .

فقد اعترف لى الكثيرون من رجال الدين الزنوج أن دعوة ايليا محمد قد هزت أركان المجتمع المسيحى الزنجى . فرفض ايليا محمد للمسيحية على أساس أنها السبب فيما يعانيه الزنوج تلاقى تقبلا من الزنوج . ويهرع القسس لتوزيع الكتيبات التى تصور الله والمسيح فى صورة ان لم تكن سوداء فعلى الاقل أميل الى السواد . ويصف الوعاظ المسيح بأن شعره كان « مفلفلا » .

وفى رأيى أن هناك خطا رفيعا يفصل مابين مارتين لوثر كنج وايليا محمد . فبرغم انهما متناقضان أيديولوجيا . فان كليهما يعتبر وظيفة العقيدة تفسير حياة من يعتنقونها . وهذا هوالسبب فى تقبل الكثيرين لنقد ايليا محمد للمسيحية .

ولقد أدى نقد ايليا محمد للمسيحية ولقادة الزنوج الى جعل الزنوج أكثر احساسا بعنصرهم الزنجى بشكل لم يسبق له مثيل. ويرتب «مالكولم اكس» بذكاء الاجتماعات والحفلات التى يخطب فيها « ايليا محمد » ويقدم له بكلمة . وقد استمعت الى ايليا محمد فى احدى خطبه وكانت تدور حول الآتى : «لقد فشلت العقيدة المسيحية ، وقد فشل قادتكم الذين يعتنقون ويبشرون بهذه العقيدة والآن هاهى ذى حكومة أمريكا تخذلكم لا أحد يريد أن ينصفكم . مكتوب عليكم أن تكونوا كالحملان بين الذئاب .. أنتم تريدون العدل ، وتريدون الحرية ، وتريدون المساواة ، ولكنكم لاتحصلون على شىء .. ليس أمامكم الا الانفصال عن الرجل الابيض واتخاذ وطن خاص بكم» .

ويعترف الكثيرون من القـادة اليوم بأن ما يقوله المسلمون السود يجد طريقه الى عقـل وقلب الزنجى بسهولة ، وأنه ليس لديهم مايواجهون به هذا الكلام ، وليس غريبا اليوم أن ترى فى قلب واشنطن مئات النسـوة من الزنوج متسربلات بالثياب البيضـاء مغطاة رءوسهن فى طريقهن الى سماع خطاب ايليا محمد .

وتسـاعد قسوة رجال البوليس ووحشيتهم وخاصـة فى نيويورك على انتشـار دعوة المسلمين السـود . وليس من قبيل المصادفة أن يقوم المسلمون السود بحركة تجنيد واسعة داخـل السجون المكتظة بالسود . ولقد اسـتطاع المسلمون السـود أن ينتزعوا اعتراف الادارة بحقهم فى اقامة شعائر دينهم داخل السجون ولقد كسبوا احترام السود والبيض بقدرتهم على جذب المجرمين اليهم وتحسين سـلوكهم . وهم يقنعـون المجرمين بأنهم ارتكبوا جرائمهم لاحساسهم بالعار من لونهم الاسود وأن سـلوك الرجل الابيض تجاههم قد حتم عليهم سيكولوجيا ألا يحترموا أنفسهم . وأنه على العـكس أن يكون الانسـان اسـود بركة وأن على المجرم أن ينبذ حياة الاجرام ويعيش حيـاة طاهرة محترمة .. ولذلك لاتجد مسلما لايرتدى قميصا نظيفا ورباط رقبة — لاتجـد مسلما يشرب الخمر — لاتجد مسـلما يدخن — لاتجـد مسـلما يرقص — لاتجد مسلما يتعاطى المخدرات — لاتشاهد امرأة مسلمة مع رجل غير مسلم — لاتجد مسلما مع امرأة غير زوجته — لاتجـد مسلما الا وله عمل يتكسب منه — لاتجد مسلما يفرج عنه ويعود ثانية الى الجريمة .

ولقد أخبرنى أحد المحامين أنه فى خلال السـنوات الخمس الأخيرة لم يعد الى الاجـرام من عملائه المسلمين سـوى أربعـة أشخاص ، وهذا أمر جدير بالاعتبار اذا ماعلمنا أن عدد المجرمين الذين ينضمون للمسلمين السود يبلغ سنويا حوالى سـتمائة .

وينظم قادة المسلمين عملية الافراج الشرطى (البارول) عن اخوانهم ويعترف الجميع أنهم يقومون بدور هام ومفيد فى هذا الشأن .

وليس معنى هذا أن غالبية المسلمين السود هم من المجرمين السابقين ، بالعكس فان من يفرج عنه يجد مكانا بينهم حيث يعاد تربيته . والخطير فى الأمر أن هذه الجماعة تقف موقف الرفض من كل ما هو أمريكى . وهم يؤسسون موقفهم على مجرد سرد ما يعانيه السود وهذا هو مادعا « جيمس بالدوين » الى القول بأن هناك من بيننا من يحمل العقيدة ولكن المسلمين فى يدهم الواقع .

ولقد ادى موقف المسلمين السود هذا بكل قادة الزنوج الى اتخاذ موقف أكثر تطرفا . فان أى خطيب اذا قال كلاما أقل مما يقوله «مالكولم اكس» سوف يسخر منه سامعوه . بل لن يجد من يسمع له .

وحركة المسلمين السود مثلها مثل حركة الجالسين ورحلات الحرية هى جزء من ثورة الزنوج ، وهى ولو أنها لاتهدف الى نفس الهدف الا أنها تنبع من نفس الجذور : رفض التفرقة العنصرية بكل مآسيها وانعدام الثقة فى القيادة التقليدية للزنوج وأساليبها .

ويتقبل المجتمع الزنجى المسلمين السود اليوم ولايضايقهم أحد . ويجلس زعماؤهم فى اللجان التى تبحث شئون الزنوج ، ولايجسر أحد على تنظيم أى عمل فى هارلم دون اشراك «مالكولم اكس» فيه اذ أنه يستطيع اذا دعا الامر أن يجمع حوله من الرجال مالا يستطيع جمعه آدم باول وفيليب راندولف ومارتن لوثر كنج مجتمعين .

ويمثل المسلمون السود أكثر الاستجابات تطرفا لما يعانيه الزنوج اليوم فى أمريكا . وهم بدلا من محاولة تحسين الأوضاع داخل اطار المجتمع الامريكى كغيرهم من الهيئات يديرون ظهرهم

لذلك المجتمع كلية . واحدى ميزاتهم الايجابية أنهم يدفعون الزنوج لكى يفخروا بلونهم . وانى أحس أنهم لايشكلون اليوم خطرا كبيرا فهم مشغولون الى حد كبير باجتماعاتهم وطقوسهم الدينية ، ولكنى أعتقد أنه عندما تفشل كل التنظيمات فى نهاية الامر سيتحول المسلمون السود الى قوة خطيرة لها وزنها .

١٤ ـ أحرار البيض

هناك طريقان للنظر الى ثورة الزنوج : فاذا كان المرء يحس ـ كما يحس المستر مالكولم اكس مثلا ـ أن ثورة الزنوج أساسا حرب بين الأجناس ، وصراع يجب أن ينتهى بانتصار جنس وهزيمة آخر .. يكون الرجل الابيض عدوا لنا بلا منازع . أما اذا كان المرء يعتبر ثورة الزنوج تطورا اجتماعيا ، وعملية تغير نابعة عن تفاعل جماعات سلالية ، يكون الرجل الابيض فى هذه الحالة مجرد أحد عناصر العملية ، وحلقة فى السلسلة العملية التى يجب أن تظل متصلة اذا ماأريد للتغير الاجتماعى أن يأخذ طريقه المرسوم ، وأنا شخصيا أرى هذا الرأى .

فأنا لاأعتبر الرجل الابيض عدوا لى برغم معرفتى أن بعضهم أعداء لى . فثورة الزنوج صراع بين قطاعين أمريكيين لكل منهما رأى وأسلوب يختلف عن الآخر ، ويحتوى كل منهما بيضا وسودا على السواء . «فجورج شويلر» المحرر الزنجى عدو لى «كالمستر ويليام بكلى» محرر الناشيونال رفيو الابيض . وكذلك يكون المخرج التليفزيونى الأبيض « ميك والاس » صديقا لى كالمستر « جيمس فارمر» سكرتير مؤتمر المساواة العنصرية الاسود .

ولقد لمع على الطريق الشاق الذى قطعته قضية الزنوج أسماء شخصيات كثيرة من البيض . فلقد أسس اتحاد تقدم الملونين عدد من البيض والسود وكذلك العصبة المدنية ومؤتمر

القيادة المسيحية تنظيم زنجي خالص الا أن ماليته يتبرع بهـــا البيض ، كذلك كانت حركة الطلاب منذ بدايتها عملا مشتركا بين البيض والسود . ولقد كان وجود البيض فى منظمات السود أمرا مثيرا للمشاكل فهناك الكثير من السود الذين يعتقدون أن الزنوج فقط هم الذين يجب أن يحلوا مشاكل جنسهم . ويشاطر المتطرفين هذا الرأى الكثير من زنوج الطبقة الوسطى . ويرى بعضهم أنه اذا سمح للبيض بعضوية منظمـــات الزنوج فلا يجب أن يتــولوا مناصب قيادية فيها . ويعتقدون أن وجود البيض عموما يؤدى بالمنظمات الى الابطـاء فى عملها ، ويضربون المثل بمنظمة العصـبة المدنية واتحـاد تقـدم الملونين . ولو أنه يمكن الرد عليهم بمنظمة مؤتمر المساواة العنصرية التى تحوى عددا كبيرا من البيض ومع ذلك فهو من أصلب المنظمات الزنجية وأكثرها عملا .

وهناك من يعارض وجود البيض على أساس من الكرامـة وبدا ذلك واضحا عندما أعلن فى عام ١٩٦١ أن «جـان جرينبرج» سيتولى رياسة مؤسسة الدفاع القانونى والتعليم باتحـاد تقدم الملونين بعد المحامى الزنجى «ثير جـود مارشال» فكتب «جيمس هيكس » المحرر بجريدة امستردام نيوز – وهى احـدى المجـلات الزنجية التى تصدر فى نيويورك – مقالا بعنوان «انى أحب جـاك جرينبرج ولكن ...» وكان يعنى أنه يجب أن يتولى زنجى آخـر مكان ثير جود . وحاول أعضاء فروع اتحاد تقدم الملونين التقـدم بقرار ينتقد تعيين جرينبرج ولكنهم صدموا حينما علموا أن تلك المؤسسة تنظيم مستقل تماما عن اتحاد تقدم الملونين وأنه لاسلطان لقراراتهم عليه .

وهنــاك من يعتبر البيض الموجـودين فى منظمـات الزنوج جواسيس لجهاز السلطة الأبيض ناســين الحوادث التى دلت على العكس . حينما نقل بعض البيض أخبار المنظمات المعادية للزنوج

وحينما اكتشف أن بعض السود ينقلون أخبـار منظمات الزنوج الى البيض .

وعلى أى حال فهناك عدة عوامل موضوعيـة أدت الى وجود البيض فى منظمات السود وتحتم بقاءهم فيها وهى :

أولا سبب تاريخى ، فأحرار البيض هم أول من تكلم باسمنا حينما كنا محرومين من حق الكلام وكانت لديهم القوة التى لم تكن لدينا والتعليم الذى لم يكن لدينـا ولم يكن يحوطهم بسبب لونهم ذلك الخوف الذى كان يستبد بنا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين .

ثانيا سبب مالى ، ففى بداية حركتنا لم يكن لدينا مال فوفره لنا الرجل الأبيض . ولم تعادل تبرعات الزنوج تبرعات البيض لاتحاد تقدم الملونين الا فى السنوات العشر الاخيرة ، ولم تزد عليها الا فى السنوات الخمس الاخيرة . ومازال الجزء الاكبر من ميزانية العصبة المدنية ومؤتمر المساواة العنصرية ومؤتمر القيادة المسيحية يعتمد على البيض .

ثالثا وهو أهم الاسباب فى نظرى أن وجود البيض فىمنظمات السود يمنع ثورة الزنوج من أن تتحول الى صراع عنصرى ، ولن أنسى قط الطلاب والطالبات البيض الذين تركوا مدارسهم وانضموا لمدارس السود فى الجنوب ليشاركوا فى حركة الطلاب . وتعرضوا بذلك لسخط البيض والسود على السواء الى جانب تخليهم عن المستوى الراقى فى مـدارسهم وكلياتهم ، ورضـائهم بالمسـتوى المنخفض فى كليات السود ومدارسها .

ولكن الدور الذى يقوم به هؤلاء الطلاب من أخطر الادوار فى حـركة الزنوج . فالبيض لايفهمون السود ، والسـود لايفهمون البيض . ولن ينشأ جيل متفهم للمشاكل العنصرية من كلا الجانبين

مالم تتدعم هذه الحركات التى تقوى العلاقة بين الطرفين . ولقد أدى وجود الطلاب البيض فى مدارس السود الى ارتفاع مستوى الطلاب السود الذين دخلوا فى تنافس مع الطلاب البيض المتفوقين بحكم تربيتهم الأولى .

وفى مجال الاعلام لعب أحرار البيض دورا هاما فى تعريف بنى وطنهم بمشكلات الزنوج سواء فى مجال الصحافة أو الاذاعة والتليفزيون . وتستخدم الكثير من الصحف المراسلين الزنوج فى جميع اتحاد الجنوب . ولقد أدهشتنى ذات يوم شكوى أحد القادة الزنوج وهو يلوح بعدد من «نيويورك تيمز» مسترعيا نظرى الى أن هذه الجريدة لاتستخدم أحدا من الزنوج . ولم يكن يعرف أن المقال الذى كان يمسك به بامضاء «لايمود روبنسون» المحرر الزنجى بالجريدة حتى أخبرته .

الا أننى لايفوتنى أن أسترعى النظر الى أحد المشاكل التى يسببها لنا أحرار البيض . فهم من فرط حماستهم لقضيتهم يغفلون توجيه النقد للزنوج فى المسائل التى تستحق النقد ، وهم بهذا الشكل يسدون الطريق أمام أى نقد أمين جاد للزنوج ، بل ويجعلون منه جريمة لاتغتفر . ولايستطيع أحد أن ينكر قيمة النقد الذاتى فى تحسين أساليب العمل وازدياد الاستبصار بالمشاكل .

ومن المستحيل التحدث عن أحرار البيض دون التعرض للعلاقة بين اليهود والزنوج وخاصة خارج الجنوب . ولقد حلل « جيمس بالدوين » العلاقة بين اليهود والزنوج بقوله « لما كان لابد للمجتمع من كبش فداء كان لابد أن يكون للحقد رمز ، ورمز الحقد لدى جورجيا هو الزنجى ولدى هارلم اليهودى» .

وهو تحليل صحيح فى رأيى ، بل ينطبق على مدى أوسع مما

قصد اليه الكاتب . فالعلاقة بين اليهود والزنوج تحمل فى الواقع عاطفتين متناقضتين . فبعض اليهود حلفاء أقوياء لنا . ويكفى أن نذكر «أرثر سينجارن» اليهودى ورئيس اتحاد تقدم الملونين أو «جاك جرينبرج» رئيس منظمة الدفاع القانونى والتعليم وغيرهم من أعضاء المكتب التنفيذى لاتحاد تقدم الملونين ومؤتمر المساواة العنصرية . على أن ما يمارسه اليهودى فى الوقت نفسه فى التعامل التجارى والشخصى مع الزنوج أمر يثير الكراهية والحقد .

فاليهود من البيض وهم أشد تعصبا للونهم وقومهم من أى بيض آخر وذلك بسبب كونهم شعبا ذا تقاليد معينة . ولقد كان اليهود من سكان الضواحى أشد المعارضين لقبول الزنوج فى أحيائهم . ولايفسر ذلك كونهم بيضا بل كونهم يهودا . فلم يقبل اليهود الزنوج فى أحيائهم بسبب تعصبهم العنصرى ضد الزنوج فقط وانما يريدون أن يكون مجتمعهم مقصورا عليهم أيضا . فاليهود بحكم تقاليدهم يحبون أن يحيطوا أنفسهم بذوى جلدتهم .

وهذه المشكلة مازال على المجتمع الامريكى أن يجد لها الحل ويتعصب اليهود ضد الزنوج على أساسين :

الأول : انه فى كثير من المناطق خارج الجنوب نجد أنفسنا نحن الزنوج مضطهدين لا على أساس أننا زنوج وانما لاننا من «الجنتيل» .

الثانى : ان الزنوج فى مشكلتهم العنصرية يتصرفون علىعكس اليهود تماما فالزنجى يحاول جهده كفرد أن يندمج فى المجتمع من حوله وأن «يفك» أحياءه المجمعة ويدمجها فى حياة البيض . أما اليهودى فيحاول أن « يلم » شعث جماعته ويدعم بنى جنسه كمجموعة .

وهذا بالنسبة لعقل الزنجى يناقض كل مايفهمه عن

الديموقراطية . لأن تجميع السكان فى مجموعات خاصة اذا كانت السلطه فى يد مجموعة منها هو العدو الاول للديموقراطية . ويشاطرنى هذا الرأى «جاك جرينبرج» الذى قال لى «ان مسألة الحقوق المدنية برغم كل شيء ليست مشكلة خاصة بالزنوج ، انها مشكلة انسانية ، مشكلة خطيرة فى المجتمع العالمى . وصحيح أن منظمتنا تهدف أساسا لمساعدة الزنوج فى حركتهم من أجل المساواة ولكن القضية انسانية وليست زنجية » ومنطق هذا الكلام قوى كصدقه . وهذا هو السبب فى أنه يجب على جميع الامريكيين مهما اختلفت أصولهم العرقية أن يدمجوا ولاءهم لعنصرهم ضمن الولاء للقيم الانسانية العامة المتضمنة فى مفهوم الديموقراطية . وهذا الأمر سيستغرق وقتا طويلا بالتأكيد ، وكل مانطمع فيه نحن الزنوج هو اعلان هذا الاتجاه كهدف للديموقراطية الامريكية . وفى هذا بالتحديد تكمن قيمة الاحرار البيض . فالرجل الأبيض الحر خير من يستطيع افهام جماهير البيض مصائبنا بوصفه واحدا منهم يدرك مخاوفهم ويحس بآلامنا . واليوم وجماهير الزنوج تتحرك من أجل احداث التغير يقع على عاتق أحرار البيض مهمة استعمال نفوذهم لاعداد قومهم لاستقبال التغير الجديد حتى تتم الولادة بأقل الآلام .

ويبدد الكثير من أحرار البيض قواهم فى الانضمام لعدد كبير من المنظمات والتبرع لعدد أكبر من القضايا مما لايجعلهم يركزون نفوذهم فى تيار واحد قوى . على أن أهم مايجب على الأحرار أن يتجنبوه — فى رأيى — هو التحول الى ذلك النوع من الناس الذى يبكى على التفرقة العنصرية فى « ليتل روك » ولكنه لا يقبل أن يسكن بجواره زنجى . ويتبرع لمختلف منظمات الحقوق المدنية ويعتبر أنه أدى بذلك واجبه ، ولكنه لايعرف تاريخ الزنوج ولايعرف زنجيا واحدا . وليس معنى ذلك أننى أطالب ان يترك البيض حياتهم ليهتموا بنا ويجعلوا مشكلتنا شغلهم الشاغل . ان ما أتوقعه



هو أن يصير الجميع ، زنوجا وبيضا ، على وعى بالخطر الذى يهدد مجتمعنا . وأن يحدث تمييز بين الاحرار الحقيقيين وبين أولئك الذين يخذلوننا ساعة الحد .

ولعل احد الامثلة البارزة هى المسز « اليانور روزفلت » . التى تكافح منذ ربع قرن تقريبا الى جانب الزنوج وتدرك مشكلة العنصرية بمختلف نواحيها . قرأت لها أخيرا فى احدى الصحف خير مثال يمكن للاحرار البيض أن يتبعوه فى تهيئة الجو لتقبل مطالب الزنوج قالت :

«يتجه العالم اليوم الى التخلص من جميع الاشكال الدنيا لحياة سكانه .. وتتخذ بلادنا نفس الطريق . الا أننا نصدم عندما يخبرنا البعض أن مركز الزنوج فى بلادنا يحمل آثار الاستعمار . والحقيقة أن مناطق كبيرة من العالم ترى هذا الرأى عندما ترى مايعانيه الزنوج فى مناطق كثيرة فى الجنوب والشمال .

ومن حسن حظنا أن قادة الزنوج فى بلادنا متأثرون بفلسفة غاندى . فمثلا « مارتن لوثر كنج » يدفع قضيته الى الأمام ولكن دون عنف . ويحدوه دائما أمل فى أن الحب والفهم سيتغلبان فى النهاية . فمواطنونا الزنوج يستخدمون المقاومة السلبية لمعارضة ما يعتبرونه ظلما وغير مساواة .

ولم نسمع أن ٧٠٠ زنجى قد دخلوا السجن مثلما حدث فى جورجيا الا فى جنوبى افريقية .. ان الموقف يتطلب ان نذكركم صبر مواطنينا الملونين .. انهم يحسون أن الوقت قد حان للقيام بعمل وربما كان من الافضل أن نعترف لهم بذلك ، فلقد حان الوقت الذى يجب أن يتمتعوا فيه بالمساواة وتكافؤ الفرص منذ زمن بعيد » .

١٥ ــ التقدم والألم

التقدم والألم لا يفترقان . وان أشد الآلام التى نتجت عن ثورة الزنوج هى النابعة عن الانقسام داخل الزنوج • ولست أقصد بهذا السخط المنصب على القيادات الزنجية القائمة الذى تكلمت عنه قبل ذلك ، وانما اقصد المؤسسات الزنجية التى أدت دورها فى وقتها على خير مايرام ، ولكنها لا تفى بالغرض الآن لارتباطها الوثيق بالحالة الراهنة ، فكليات الزنوج ، وصحافة الزنوج، وساسة الزنوج ،وكنيسة الزنوج يشتركون جميعا فى هذه الورطة • فقد نشأت هذه المؤسسات فى عالم تسوده التفرقة لتخدمنا على أمل أن يأتى اليوم الذى نحظى فيه بالمساواة • ونتيجة لذلك فان كلا منهما له ــ بأى شكل ــ مصلحة فى الحالة الراهنة • وواضح أن الحالة الراهنة يلعنها جميع الزنوج •

فمنذ عشر سنوات فى عام ١٩٥٢ كان عميد الكلية الزنجى الذى يستطيع أن يقنع أحد البيض بالتبرع له مثلا بعشرة آلاف دولار لينشىء مكتبة يعتبر بطلا وقائدا محترما . أما اليوم فعميد هذه الكلية يجب ان يبذل الجهد ليشرح لماذا لا يزال عميد كلية « الزنوج » وما مستقبل هذه الكلية ؟ ومحاولا تهدئة ثائرة طلبته الذين يعون جيدا أنهم يتلقون نوعا منحطا من التعليم وتحيطهم كذلك جميع فظائع التفرقة .

ويطلق طلبة الجنوب على مثقفيهم تعبير « العم توم المثقف » تندرا بفشلهم فى مساندة ثورة الزنوج بشكل قاطع وصريح •

وهذا فى الحقيقة أمر مؤلم للنفس أشد الايلام • فلقد كانت أسماء فلتون كلارك ، وجيمس كولسون ، وروفوس أتودد ، وبنيامين مايز ، والبرت دنت ، وجورج جور ، وستيفن رايت ، . . كانت هذه الاسماء هى أسماء أبطال طفولتنا وصبانا وكلهم عمداء

لكليات زنجية • فتحت أقدامهم تعلمنا ، ومن عطفهم وحنـــانهم والجهد الذى بذلوه ليدفعوا عنا غائلة الجهل روينا . هؤلاء هم الذين حفيت أقدامهم وتعفرت جباهم فى السعى والتذلل للحصول على مدرسى اللغات أو معمل للكيمياء أو مكتبة •

لقد ذهب احدهم وهو يحمل درجة الدكتوراه لمقابلة أحد اهل الخير ليحصل منه على تبرع فرفضت ادارة الفندق ادخاله من الباب الأمامى واضطر لاستعمال مصـــعد الخدم وخرج كذلك من نفس الطريق ، ولــكنه كان يحمل ٥٠ الف دولار يدعم بهـــا كليته . وآخر وقف فى اجتماع عام يطالب البيض الحـاضرين بالتبرع وعندما أنهى كلامه سأل هل لدى اى واحد أى استفسار فوقفت سيدة عجوز وطالبته بأن يغنى أغنية دينية معينة قبل البدء فى جمع التبرعات .. وتنحنح العميد الزنجى وهو يطلق صوته بالغناء .. ولكنه حصل كذلك على المكتبة الجديدة التى كان يديرها .

من المعروف أن كليات الزنوج أدنى شـأنا من غيرها • ومن المعروف أيضا انها كانت ستكون أحط من ذلك لو لم يوجد ذلك الرعيل الذى تحمل الذل والمهانة ليتيح لهذه الكليات أن تصل الى ذلك المستوى • وما زال الكثير من أولئك الرجال يديرون هذه الكليات ، ولكنهم يجدون أنفسهم اليوم بين نارين • فبينما يشترك طلبتهم فى المظاهرات وحركات الجالسين ورحلات الحرية ، يثور غضب « أهل الخير » من البيض الذين يرون تبرعاتهم تذهب لتعليم «مثيرى الشغب » و « المهيجين » . ويطالب هؤلاء بوضع حد للاضطرابات فى حين ينتظر الطلبة من أســاتذتهم التأييد والعون .

ولقد وقف بعضهم فعلا الى جانب الطلبة مثل « ستيفن

رايت » مدير جامعة فيسك « وجيمس كولستون » عميد كلية نوكسفيل بل وأسهموا مع البيض فى الغاء التفرقة فى بعض المرافق العامة . الا أن الدكتورين رايت وكولستون يديران معاهد خاصة، ولا تواجههم معارضة عنيفة كالتى تواجه المعاهد التى تمولها الدولة .

أما الدكتور « روفوس أتوود » عميد كلية كنتكى الحكومية فقد فصل ١٢ طالبا وفصل اثنين من المدرسين فى أعقاب المظاهرات، كذلك اصدر « الدكتور كونسيل ترنهولم » عميد كلية الاباما الحكومية تصريحا أعلن فيه أنه سيبذل كل جهده لمنع طلبته من القيام بالمظاهرات .

ولن تكون عملية التوفيق سهلة والأرجح أن المشاكل ستزداد . فبرغم الاتجاه نحو الغاء التفرقة فى المدارس فان زنوج الجنوب ما زال أمامهم خمس سنوات على الأقل ليلغوا التفرقة من المدارس مما سيطيل من أجل عمداء كليات الزنوج . الا أنه من المؤكد أن طلبة هذه الكليات قد فقدوا احترامهم لعمدائهم ولعل أسوأ هؤلاء العمداء حظا هو « الدكتور فلتون كلارك » عميد جامعة لويزيانا الجنوبية الحكومية . فلقد أسس والده هذه الجامعة ونماها حتى أصبحت اكبر جامعة للزنوج فى العالم — ولو أنها ليست الأحسن . وهذه الجامعة تمولها الدولة ويبلغ عدد موظفيها حوالى ستمائة ،وتبلغ ميزانيتها السنوية ٧ مليون دولار . ويبلغ مرتب عميدها السنوى ١٥ ألف دولار .

وفى عام ١٩٦٠ عندما بدأت المظاهرات اجتمع مجلس الادارة المكون من البيض وقرر اما أن تتوقف المظاهرات أو يفصل الطلبة ولما لم تتوقف المظاهرات فصل الدكتور كلارك ١٨ طالبا من قادة المظاهرات الا أن المتاعب لم تتوقف واضطرت الجامعة لاقفال أبوابها وهى فى حالة هدوء الآن ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة .

ويرى المرء فى الدكتور كلارك حقيقة الألم الذى يصـــاحب التقدم . فهو رجل ذكى ، وطيب وشريف ومخلص . واذا استمعنا الى حقيقة ما يدور فى نفسه لوجدناه يكره التفرقة ، لكنه اذا أعلن ذلك فسيفقد عمله . الادهى من ذلك أن الجامعة ستغلق أبوابها . وقد يرى البعض أن الواجب يحتم على الدكتور كلارك وأمثاله أن يعلنوا رأيهم .. ولكن ما مصير خمسة آلاف طالب زنجى ينتمون لتلك الجامعة ؟ أين يذهبون ومن سيدفع نفقات تعليمهم اذا ما التحقوا بمدارس خاصة ؟ وما مصير « فلتون جراندسون كلارك » الانسان الذى وقع بين عجلات التغير ؟

ويرى الدكتور كلارك أن « الطلاب الزنوج الذين لم يجدوا اعدادا كافيا مازالوا فى حاجة الى معاهد كمعاهدنا .. وخاصـــة اذا لم يكن فى استطاعتهم أن يذهبوا الى مكان آخر » .

والواقع أن الدكتور كلارك وأمثاله من العمداء انما يحســون أنهم رجال ذوو رسالة يحق لهم أن يفخروا بمكانتهم وما حققوه . غير أننى لا أحسدهم على موقفهم . وهم جديرون بالمدح والاحترام فهؤلاء هم الذين صنعوا ثوار اليوم

ويعانى السياسى الزنجى من آلام التقدم كذلك . ففى أوائل هذا القرن كان السياسى الزنجى وخاصة من كان يفوز منهم فى الانتخابات رجلا مرموقا . أما اليوم فهو مجرد سياسى . وبرغم أن الساسة الزنوج يلقون الخطب عن العدالة والمساواة فلا يوجد واحد منهم فى الصف الاول من الثورة ، والسبب أنهم يدينون بمراكزهم للتفرقة العنصرية . فلولا النسبة العالية من الزنوج فى دوائرهم لما انتخبوا . وطبعا لا يحب أحد منهم أن يرى ناخبيه وقد تفرقوا واندمجوا فى المجتمع . وهذا هو فى الواقع الموضوع الشائك الذى تثيره الثورة : هل ســـيصبح الزنوج قبيلة أخرى

داخل المجتمع الامريكى كالبولنديين أو اليهود أو انهم يطمحون الى أن يمتصهم المجتمع ويتفرقوا فيه ؟

وهذا السؤال بالنسبة للسياسى الزنجى ينحصر فيما اذا كان سيظل فى امكانه أن يحتفظ « بقواته » الزنجية وناخبيه فى المدن . فالاحصاءات تدل على ازدياد هجرة الزنوج الى قلب المدن الرئيسية فى أمريكا ، ويتوقعون انه سيكون لنيويورك عمدة زنجى فى عام ١٩٧٥ . وعبر لى أحد الساسة الزنوج عن شعوره فقال « لقد كان للايرلنديين يومهم ، ولليهود يومهم ، وللكاثوليك يومهم ، أما اليوم فقد أتى دور الزنوج » .

وصرح لى أحد الزنوج الناخبين « لماذا بحق الآلهة تنتظرون الى اللحظة التى نستطيع فيها أن نحصل على نصيب لنا كما فعل من قبلنا الايرلنديون واليهود والكاثوليك ، وتطالبوننا « بالتكامل » ولا نسعى للحصول على نصيبنا على أساس من العنصر وانما على أساس من الكفاية .. » .

ولعل أبرز مثل على السياسى الزنجى هو عضو مجلس الشيوخ السناتور « ويليام دوسون » من الينوى الذى عرفته لفترة من الزمن . فعندما قابلته ووجهت اليه كل ما سمعته عنه من نقد .. انه يحب الرياسة ، انه مجرد سياسى محترف ، انه لا يناضل ضد الغلاة من المتعصبين البيض فى حزبه وانه لا يتميز عن أى عضو مجلس شيوخ أبيض . التفت الى باسما وأشار الى الحشد من الزنوج المتزاحمين يريدون الدخول الى مكتبه وقال : اسأل هؤلاء ماذا يظنون بى ؟ وعندما سألتهم كانوا جميعا يعتبرونه المسيح بعث حيا . ولا ينسون له قط أنه الرجل الذى دخل الى مكتب عمدة شيكاغو وقال له : (ان زمنه قد انتهى) .

ونفس الشىء حدث للسناتور « أدام باول » عضو مجلس

الشيوخ عن هارلم . ولا ينسى له ناخبوه انه الذى سخر السناتور « بيليو » فى المجلس .

والواقع أن الساسة الزنوج مثلهم مثل عمداء الكليات الزنوج قد أدوا دورهم وادوه بأمانة .. ولكن الوقت قد أزف ليصبح الساسة الزنوج شخصيات عامة وليسوا مجرد زنوج . صحيح أن اليوم الذى يستطيع فيه مرشح زنجى أن يفوز فى دائرة ليس للزنوج أغلبية فيها لم يبزغ فجره بعد ، ولكننى اتكهن أن ذلك اليوم ليس ببعيد وعندما يحل ستكون ثورة الزنوج قد خطت خطوة جبارة نحو هدفها النهائى : أن يقيم الزنجى على حسب صفاته وكفايته لا على حسب لونه وعنصره .

وأحد التنظيمات الزنجية الأخرى التى لا تساير الزمن هو مجلس العمل الزنجى الامريكى الذى أسسه ويرأسه « فيليب راندولف » . ويضم المجلس حوالى ١٠٫٠٠٠ زنجى نقابى بعضهم اعضاء فى الاتحاد العام لنقابات العمال الامريكيين ، والبعض الآخر أعضاء فى اتحادات دولية أخرى . ولكن كل ما يربط بينهم هو أنهم زنوج ، وأنهم مقتنعون بأن قيام تنظيم نقابى زنجى مستقل هو السبيل لمكافحة التفرقة العنصرية فى مختلف النقابات المحلية والقيادية .

والنجم الرئيسى فى الحركة النقابية الزنجية هو « فيليب راندولف » الاشتراكى القديم المتلىء حماسة وقوة . والذى هز أركان قيادة حركات الزنوج فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ويشغل الآن منصب نائب رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال الامريكيين . ولقد كان لمجلس العمل الزنجى أثر على الحركة النقابية أكبر مما له على الزنوج بشكل عام . وكان أعظم أعماله عندما تمكن من عرض قضية التفرقة فى نقابات العمال على المؤتمر السنوى لاتحاد نقابات العمال الامريكيين .

ويسعى راندولف كما قال لى الى حمل نقابات العمال المحلية على اتخاذ سياسة غير عنصرية فى معاملة العمال . كما يسعى فى نفس الوقت الى دفع الاتحاد العام لنقابات العمال الامريكيين الى اتخاذ موقف حاسم من النقابات الفرعية التى تمـــارس التفرقة العنصرية وطردها من عضوية الاتحاد اذا لزم الأمر .

وعندما حدثت « جوزيف أوفرتون » نائب الرئيس لمجلس العمل الزنجى الامريكى قال لى « اننا شعرنا أنه لما كان لا يوجد من يطالب بالغاء التفرقة فى الاتحاد العام قررنا انشاء هذا التنظيم الذى يركز جهوده على هذا الهدف ويمضى قائلا : أن المجتمع الزنجى مختلف عن مجتمع البيض فلنا حاجات وأهداف مختلفة وذلك هو السبب فى وجود تنظيم مستقل لنا » .

وهكذا تجد التنظيمات العمـــالية نفسها فى نفس الموقف المزدوج : ايجاد منبر يستطيعون العمل من خلاله على الغاء التفرقة وجميع ألوان التمييز العنصرى ، فى الوقت الذى يطالبون فيه بأن يمثلوا ويحتلوا المكان اللائق بهم على أساس العنصر .

الا أننى أسارع لأؤكد أن دوافع « فيليب راندولف » ليست بهذا الضيق وأن الأمور كانت بالتأكيد ستتخذ مجرى آخر دون صوت فيليب راندولف القوى وهو يهاجم التفرقة ، الا أن من يحيطون به وينتظرون احتلال مكانه ليسوا بسعة أفقه . فعنــدما تســير الأمور داخل النقابات الى التقليل من التعصب ســتكون الحاجة أشد الى رجال من طراز جديد .

وننتقل الى الحديث عن الصحافة الزنجية التى تعانى هى الأخرى من التقدم . ومشكلتها نابعة من انها ـ شأنها شأن جميع أشكال الكلمة المكتوبة ـ تعتمد على الاعــلانات . وكما بينت من قبــل ليس لرجال الاعمـــال الزنوج أى نفوذ يذكــر حتى فى

مجتمعاتهم . ولذلك فصحافة الزنوج تعتمد على رجال الاعمال البيض فى الحصول على الاعلانات . ففى الشمال مثلا تستطيع الصحافة الزنجية أن تهاجم التفرقة ووحشـــية رجال البوليس فى الجنوب ، ولكنها لا تستطيع تناول الغش والخداع الذى يجعل زنوج الشمال فى دين دائم .

وعلى وجه العموم فقد ساندت الصحافة الزنجية ثورة الزنوج والاستثناء الوحيد هى الصحيفة الجمهورية التى تصدر فى أتلانتا « ديلى ورلد » وهى احدى الجريدتين اليوميتين الخاصتين بالزنوج على نطاق الأمة ، فقد كتب فى افتتاحية العدد الصادر فى ٤ من مايو عام ١٩٦٠ تتساءل « هل هذا النوع من الاعمال ضرورى فى تلك الحالة ؟ » . وكانت تنتقد مقاطعة الطلاب لمتاجر البيض التى رفضت أن تستخدم السود الا فى الاعمال الدنيا . وكانت هذه المقالة قمة عداء طويل بين الطلبة والجريدة . قرر الطلبة بعدها اصدار جريدة اســـبوعية « انكوايرر » ليردوا فيها على هجمـــات « ديلى ورلد » . ولقد استطاعت تلك الجريدة أن تسترعى النظر اليها بعد نجاح حملتها فى ادخال الاطباء الســود الى مستشفيات البيض . ومما هو جدير بالذكر أن جريدة « الديلى ورلد » عادت وعدلت سياستها وامتدحت حركة الجالسين .

ولقد ساعدت الصحافة البيضاء الصحافة الزنجية مساعدة كبيرة بعد أن عدلت الاولى كثيرا من سياستها تجاه مشكلة التفرقة العنصرية خلال العقد الأخير . فالمعلن لا يستطيع أن يغضب من جريدة زنجية لتأييدها رحلات الحرية وحركة الجالسين على حين تفعل الصحف البيضاء نفس الشىء . بل ان الصحافة البيضاء فى محاولتها لكسب القراء الســود والدعاية للمنتجات فى نفس الوقت تذهب شوطا بعيدا فى الليبرالية . ففى نيويورك سوف تنشر جريدة نيويورك بوست أى اخبار متعلقة باساءة معاملةالسود

اسرع واحسن من اية جريدة زنجية ــ لضخامة امكانياتها ــ « كأمستردام نيوز » مثلا . وهذا يدفع الصحف الزنجية الى الاندفاع فى تطرفها كى تتميز عن تلك الصحف .

و لايمكن الحديث عن الصحافة الزنجية دون الاشارة الى مجلتى « جيت » و « ايبونى » . فعندما اشتدت ثورة الزنوج وبرز الدكتور « مارتن لوثر كنج » الى المقدمة انضمت مجلة جييت ــ وهى مجلة أسبوعية فى حجم الجيب ــ الى الطوفان بسلسلة من المقـــالات الافتتاحية التى تنتقد التفرقة العنصرية . وخصصت صفحة الغلاف فى عدد ٦ من يوليو عام ١٩٦١ لنشر صور روى ويلكنز وجيمس فارمر ومارتن لوثر كنج وايليا محمد وكان هذا عملا جريئا من جريدة لا يعترف الكثير من قرائها بزعامة ايليا محمد .

وتسير الصحافة الزنجية الى مأزق لافكاك منه . فهى اذا كانت قد نجحت حتى الآن فى أن تعكس مصالح قرائها باعتبار أن هناك مجتمعا زنجيا منفصلا . فماذا ستفعل عندما تنجح ثورة الزنوج فى تحقيق أهدافها ؟ أعتقد أن كل من يشتغل بالنشر يجب أن يفكر فى ذلك اليوم .

وتعانى كنيسة الزنوج من نفس المأزق . فهى بحكم طبيعتها وتكوينها زنجية ، ولدت نتيجة رفض البيض أن يتعبد السود فى كنائسهم . ولم تقم كنائس الزنوج لتكون ضد اليوم الذى يتمكن فيــه الزنوج من تحطيم جميع العوائق العنصرية . والواقع أن صباح الاحد أقوى لحظة تفرقة عنصرية فى أمريكا فحتى فى الشمال حيث يسمح للزنوج بارتياد الكنائس دون تفرقة ، تجد كنائس الزنوج مازالت قائمة ويؤمهـــا الزنوج . وعلى اى حال فليست مسألة ازالة التفرقة فى الكنائس من المشـــاكل الملحة فالمهم هو التفرقة فى الوظائف والمدارس والمحاكم والمساكن .. واذا حلت

هذه المشاكل فسوف يتلوها بشكل طبيعى حل بقية المشـــاكل الاجتماعية كالكنائس .

ولقد أصبحت الكنائس معملا لتفريخ الثوريين ، ففيها وحدها نستطيع سماع حديث الخلاص .. على أن هذا هو أحد آلام التقدم ، فسوف تحقق الكنيسة الزنجية انتصارها النهائى عندما تدمر نفســها . ولا يعنى هذا انتصار الكنيســـة البيضـــاء على الكنيسة الســـوداء بل ان الاخيرة ترى فى المســـتقبل أمريكا وقد حققت لبنيها كل ما وعدت به .. « مجتمع ديمقراطى حقيقى » .

والحلقة الرئيسية فى مستقبل هؤلاء الناس والتنظيمات — ساسة الزنوج ، صحافة الزنوج ، مدرسو الزنوج ، كنائس الزنوج — هى ما اذا كانوا سيستطيعون أن ينتقلوا من منظمات عنصرية الى منظمات عامة . ولقد بدأت فعـــلا كثير من المدارس الخاصـــة الراقية تحت اشراف الدكتور « ويليام ترنت » مدير مؤسسة كلية الزنوج المتحدة فى احداث هذا التحول ، وكما يقول الدكتور « ستيفن رايت » عميد جامعة فيسك فى ناشفيل : ان البلاد فى حاجة الى مزيد من الكليات والجامعات — فما هذا الحديث عن اغلاق كليات الزنوج ؟ فلنتحدث عن تحول هذه الكليات الى مدارس أرقى يرغب فى دخولها الجميع .

ويبدو أن مستقبل الكنيسة والصحافة سيكون أصعب . فالميدان ليس مفتوحا أمام الصحف كما هو مفتوح أمام المدارس . ويبدو أن مستقبل تلك الصحف فى أن تصبح جرائد محلية . وعلى أى حال فان كل الجماعات العرقية (السـلالية) فى أمريكا لها صحافتها وكنائسها ونواديها وسيسلك الزنوج نفس الطريق . الا أن ما يجب أن يكون واضحا هو أن هذه المؤسسات انما تعيش على الجيل القديم . وعندما تتلاشى فروق السكن سيندفع الزنوج الى تيار الحياة الامريكية العام . وسوف يصلون الى مراكز القيادة بوصفهم أمريكيين وليسوا زنوجا .

الجزء الثالث

الطريق المقبل

١٦ ـ العصبة المدنية (الحضرية)

اذا كان الزنجى الأمريكى فى سبيله ليقوم بدوره كاملا فى التجربة الأمريكية فيجب عليه أن يصبح أكثر تحملا للمسئولية مما هو الآن • لقد ظللنا لوقت طويل نكتفى بالقاء التبعة على الرجل الأبيض فيما يتعلق بنقائصنا ونواحى ضعفنا • ولكن آن لهـــذا اليوم أن ينتهى • صحيح أن بقـــايا الكوكلوكس كلان ما زالت موجودة وأن المسيسيبى لن تخرج أية عبقرية زنجية خلال السنوات العشر المقبلة على الأقل ولكن على وجه العموم لقد خطت هـــذه الأمة الى الأمام فى قضية العنصرية • ونحن بوصفنا زنوجا علينا أن نقسم وقتنا بين النضال من أجل حقوقنا وبين مساعدة بنى جلدتنا على أن يصبحوا مواطنين من الدرجة الأولى •

فنسبة الجريمة مرتفعة جدا بين الزنوج ، والشحاذون الزنوج أمر كريه ومحرج ، والهجرة الى مدن الشمال والغرب لا مبرر لها وتخلق مشاكل عدة • ويعتقد بعض الزنوج الذين يحتلون مناصب هامة أن ثلاثمائة عام من الرق والتعصب العنصرى قد دمرت عصب الزنوج وحيويتهم ، وأنه ربما لم تعـــد لديهم الروح الكافية لأن يصبحوا مواطنين من الدرجة الأولى •

ولقد استمعت الى كثيرين من الطلبة فى الجنوب وهالنى ما وجدته لديهم من بأس برغم اشتراكهم فى رحلات الحرية وحركات الجالسين • ونفس الشيء وجدته لدى جماهير الناخبين من الزنوج • وهذا هو السبب فى أن التنظيمات القيادية تفكر جيدا قبل أن تخوض معركة واسعة علنية من أجل دفع الناخبين الى تسجيل أسمائهم لأنها تعلم أن الناخبين ببساطة لن يتحركوا من أماكنهم وطبعـــا

سينعكس الفشل على سمعة التنظيم • لذلك لا تقدم التنظيمات على هذه الخطوة •

ويجيب عامة الزنوج على هذه المسائل بأنه لا يجب أخذ الجنس كله بجريرة بعض أفراده • والواقع أن ثورة الزنوج تطرح هـذا السؤال هل الزنجى على استعداد لتحمل المسئوليات التى تلقيها عليه الثورة ويسعى قادته لتحقيقهـا ؟ وهـذا السؤال معقول ، فالحقوق انما تمنح للأفراد وليس للجنس • وليس هناك معنى لحرمان بعض الأفراد من حقوقهم لأن بقية الجنس لم يصل الى درجة التمتع بهذه الحقوق • كما أنه لا توجد مثل هذه القيود على الرجل الأبيض • وثـورة الزنوج تطالب للزنوج بنفس الحـريات بصرف النظر عن مسئولية الجنس ـ وعلى أى حال فان مسئولية الزنوج أمر يجب أن يبحث ، واذا استطاع أحد أن يربط بين حقوق الزنوج ومسئوليتهم دون أن يسىء الى الأفراد الذين يرون من حقهم أن يكونوا مواطنين من الدرجة الأولى وزيادة فانه فى الواقع يؤدى لنا خدمة جليلة • وأظن أن هذا العمل بالدقة هو ما يحاول أن يقوم به « هويتنى يونج » الرئيس الجديد للعصبة المدنية • ولقد أعلن يونج ـ ٤٠ سنة ـ عن هدفه فى الجلسة الختامية لمؤتمر العصبة المدنية فى سبتمبر عام ١٩٦١ • فقرر أن التنظيم سيقوم ببحث عملى لدراسة اتجاهات الزنوج نحو مختلف الأمراض الاجتماعية • وقال لى « يونج » شارحا فلسفته « لماذا ننتظر حتى تقوم الصحف والمجلات الرجعية بكشف الحقائق المخزية عن نسبة الجريمة بين الزنوج وغيرها من الأمراض الاجتماعية ؟ لماذا نتركهم يعرضون هذا الواقع ويفسرونه على حسب هواهم ؟ فلنكشف نحن حقائق مجتمعنا عن نسـبة الجرائم ، عن انهيار الأسرة ، وعن سرقة الاعانات فلنأخذ زمـام الأمور فى أيدينا •• هذا هو الواقع •• وهذه هى الأسباب فلنعمل كلنا شيئا يمنع هذا كله » •

ويرى « يونج » أن الأسرة هى المهد الاجتماعى الأول للفرد ٠ وأن المجتمع الامريكى الحالى قد أنزل بهذه الأسرة أبلغ الأضرار ثم عاد فألقى عليها اللوم فى تخلف الزنوج ٠ وقد يبدو أن « يونج » قد اتخذ طريقا طويلا ليصل الى ما وصل اليه غيره منذ البداية ٠ ان التفرقة العنصرية هى السبب ٠٠ وهذا صحيح الى حد ما ولكن ما يميز « يونج » هو البرنامج الذى يقدمه فهو يرى أن انهيـــار الأسرة يرجع الى سببين : (١) عدم وجود عائل مستديم ٠(٢) الجهل والنفور من المؤسسات الاجتماعية الرامية الى تحسين حال الأسرة ٠ وعلى هذاالاساس دعا « يونج » فروع العصبة المدنيـــــة البـــالغ عددها ٦٢ فرعا الى تنفيذ برنامج يهدف الى الربط بين أسر الزنوج ومؤسسات الخدمة الاجتمـــاعية وهذا يعنى القيام بعمل نشيط فى البحث والتوجيه والتعاون مع بقية المؤسسات ٠

ويشبه « يونج » جماهير الزنوج بشعوب الدول المتخلفة ٠ فلا ريب أن أربعة قرون من العبودية والاضـــطهاد عاقت الزنوج كثيرا ، مما يدعو الى مزيد من العناية حتى يمكنهم اللحاق بالركب الأمريكى ٠ ويقترح أن تنشأ برامج خاصة لتأهيلهم ورفع مستواهم حتى يتمكنوا من حمل مسئولياتهم ٠ وهذا الكلام بالطبع سيدفع بالكثيرين من الزنوج الى الجنون اذ أن يونج يصفهم بالانحطاط ٠ الا أن « يونج » يرى انه لا بد للجيل الجديد من الزنوج أن يحـــاط بعناية أكبر مما يحاط به الجيل الجديد من البيض اذا أريد لهم أن يعوضوا تخلف أجدادهم ٠

وسواء قبل الزنوج هذا الكلام أو رفضوه فان هارلم فى الحقيقة هى كونغو أخرى ٠ أرض يسكنها الزنوج ويديرها البيض ٠ واذا تخلى البيض عنها وقع السود فى حيص بيص لا بسبب نقص قدراتهم ، ولكن لأنهم لم يتلقوا التدريب الكافى ٠

هذه هى فلسفة وبرنامج الرجل الذى يقود أحسن التنظيمات الزنجية تمويلا · ففى عام ١٩٦١ كانت ميزانيته ٣ر١٦٣ر٩٩٢ دولارا أنفق منها ٣ر١٠٤ر٧٣٨ دولارا وينتظر أن تبلغ ميزانية عام ١٩٦٢ حوالى ٣ر٥ من المليون دولار · أما « يونج » نفسه فقد تخرج فى معهد الخدمة الاجتماعية بجامعة منيوسوتا عام ١٩٤٧ واشترك فى مؤتمر المساواة العنصرية · ثم أصبح عميدا لمدرسة الخدمة الاجتماعية بجامعة أتلانتا من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦١ · ووجد فيه الطلاب خير ناصح ومعين · كما استعان به الدكتور « مارتن لوثر كنج » ·

ولم يفصح « يونج » عن الأساليب المرسومة التى سيتبعها للهجوم على نسبة الجريمة المرتفعة،والجرائم عنده تندرج تحت مايسميه « التفكك الاجتماعى » وبذلك ترتبط بنظريته عن انهيار الأسرة · ويشعر الزنوج بالخجل الشديد من ارتفاع نسبة الجرائم بينهم ، ويستخدمها بعض البيض لتبرير تعصبهم ، ولكن حتى أحرار البيض يبدون قلقهم من ارتفاع نسبة الجرائم وهو فى نظرهم الخطر الثانى بعد الشيوعية · والآن فلنحاول أن نبحث بحثا أمينا فى نسبة جرائم الزنوج على أن نضع فى تقديرنا جميع الظروف التى سبق ذكرها : ما السبب فى ارتفاع نسبة الجرائم بين الزنوج ؟

أولا : هناك ارتباط موجب بين نسبة جرائم الزنوج وعجز الزنوج عن الحصول على عمل · فمعظم الزنوج يفضلون العمل على السرقة ، ولكنهم يفضلون السرقة على الموت جوعا ·

ثانيا : ما يسمى بجرائم الأحباط ـ ادمان المخدرات ، الجرائم الجنسية ، جرائم القتل غير المتعمد ـ وهذه ترجع جميعها الى الرغبة فى الهروب من الواقع المؤلم لحياة الزنوج · بل انها تنبع من قلق نفسى عميق حول كون الانسان زنجيا فالتجربة الأمريكية كلها تدفعه دفعا للاحساس بالعار لكونه زنجيا · هذا بالاضافة الى تعمد عدم ذكر دور الزنوج فى تاريخ أمريكا · كل هذه العوامل

تدفع الشاب الذى يجد نفسه على أعتاب الحياة فى سن السادسة عشرة فى حالة تحد دائم للمجتمع من حوله ثم الجريمة بعد ذلك ٠

ثالثا : هناك حقيقة مرة أن كثيرا من « جرائم الزنوج » هى للانتقام من البيض ٠ وقد أخبرنى الكثير من المحامين الزنوج أن موكليهم برروا لهم السرقة بأن البيض مدينون لهم فقد استعبدوا أجدادنا دون أن يدفعوا لهم شيئا ٠ كما أن الكثير من الجرائم التى ترتكب ضد البيض انما تتم لأن المجنى عليه أبيض ٠

وأعتقد أن هذا هو ما يدور فى ذهن « يونج » عندما يفكر فى اجراء بحثه العملى وأن هذا هو ما يعنيه بقوله سنعرض الحقائق ونعرض أيضا تفسيرها الصحيح ٠

والنتيجة الوحيدة التى يمكن الخروج بها هو أن ارتفاع نسبة الجرائم بين الزنوج انما تعود للظروف الاجتماعية المفروضة عليهم ٠ وهذا لا يعنى بالطبع أننا نتهرب من المسئولية ، بل يعنى أن نعالج المشكلة دون احساس بالذنب ، وأن نعرض الوقائع دون احساس بالعار ، وأن نمضى قدما فى تفسيرها للمجتمع عموما ، ونطالب بتصحيح الأوضاع التى أدت الى هذه الحالة ٠

أما مسألة ما اذا كان « يونج » سينجح فى مشروعه فهذا أمر يرجع الى قدرته على دفع العصبة المدنية مرة أخرى الى الصدارة فى حياة الزنوج ٠ فلقد أتى على العصبة المدنية حين من الدهر كانت فيه عنصرا فعالا فى حياة الزنوج ٠ وذلك حين كان المهاجر الزنجى ينزل من الأوتوبيس ليجد مندوب العصبة المدنية واقفا ليحييه ويرشده ٠ وفجأة لم يعد مندوب العصبة يقوم بهذه المهمة والواقع أن العصبة فقدت احترام الزنوج لأنها لم تهاجم التفرقة بصلابة غيرها من التنظيمات الأخرى ٠ ومن ثم أصبحت العصبة مجرد مركز للبحث عن عمل وكان يقصدها الزنوج للبحث عن عمل واستطاعت أن تقدم لهم العون فى هذا الشأن ولكنها انحدرت الى

زوايا النسيان عندما علت صيحات ثورة الزنوج • ويحاول «هويتنى يونج » الآن أن يعيد العصبة الى الصف الأول ، ولكن قيادة الزنوج اليوم أصبحت أمرا صعب المراس يتنافس فيه الكثيرون وتشمل الملايين من الدولارات ولا بد أن يكون لدى يونج ما هو أكثر من النظريات الاجتماعية اذا كان يريد للعصبة أن تقف على قدم المساواة مع مؤتمر المساواة واتحاد تقدم الملونين ومؤتمر القيادة المسيحية •

ولقد بدأ « يونج » بداية مشجعة • ففى مايو عام ١٩٦١ دعت العصبة الى مؤتمر لتشغيل اليد العاملة ضم ممثلين لخمسين شركة كبيرة من عمداء كليات الزنوج ، وكان الغرض من المؤتمر هو حث هذه الشركات على اقامة دراسات تدريبية فى كليات الجنوب ، وفعلا نجح المؤتمر • وتدير هذه الشركات الدراسات التدريبية والتأهيل المهنى فى الكليات لأول مرة • ولم أر رجلا يضارع « يونج » فى فهمه للنفسية الزنجية سوى المسلم الزعيم « مالكولم اكس » •

وأحد عناصر وصول الزنجى الى مرتبة المواطن من الدرجة الأولى هى التصويت • ولقد دفع « يونج » العصبة المدنية الى هذا السبيل أيضا • ففى صيف عام ١٩٦١ دعت مؤسسة تاكونيك فى نيويورك عددا من التنظيمات القيادية للزنوج وعرضت عليهم تمويل حملة لدعوة الزنوج لتسجيل أسمائهم فى جداول قيد الناخبين على شرط أن تتولى هذه التنظيمات قيادة تلك الحملة وتنظيمها • وكانت العصبة المدنية أول تنظيم يقبل تلك الدعوة • وسوف يلجأ «يونج» الى التعاون مع بقية المنظمات على المستوى المحلى • فهو يفاوض الآن عدة شركات لتقبل الزنوج عمالا فيها ، واذا لم تنجح المفاوضات فانى أعتقد أن يونج سيلجأ الى مؤتمر المساواة العنصرية واتحاد تقدم الملونين لتنظيم المظاهرات ضد هذه الشركات •

ان دفع الزنوج ليكونوا مواطنين من الدرجة الأولى عملية حيوية لحفظ حضارتنا ودفعها الى الأمام • وعندما يتمكن الزنوج من تحمل مسئولياتهم الى جانب حقوقهم سيتحقق انتصار ثورة الزنوج•

١٧ ـ الزنجى الأمريكى وحكومته

خلال الأعوام التى انقضت من هــــذا القرن جرب الزنوج الاعتماد على الفروع الثلاثة للحكومة الفدرالية • فوضــع الزنوج ثقتهم فى الكونجرس بعد اقراره تعديل المادة ١٥ من الدستور فى عام ١٨٧٠ ـ ١٨٦٩ • ولكن بعد أن تمكن الجنوبيون من استعادة السيطرة فى الكونجرس بمجلسيه ذبلت الثقة • ومنذ أن أصدرت المحكمة العليا قرارها فى عام ١٨٨٠ بالقـــاعدة « معزولون ولكن متساوون » أصبحت هى الأداة الرئيسية لتحقيق آمال الزنوج ، واعتمد عليها الكثير من التنظيمات وخاصة اتحاد تقدم الملونين • الا أن تنفيذ قرارات الكونجرس أو المحكمة العليا كان يعتمد على الفرع التنفيذى من الحكومة • ولقد تغيرت الأحوال بالنسبة للتنفيذ بتغير الجالس فى البيت الأبيض • وعلى أى حال فان سجل رؤساء الجمهورية خلال القرن الحالى به بقع كثيرة •

ولقد أحس الزنوج أن صديقا لهم دخل البيت الأبيض عندما انتخب « ثيودور روزفلت » رئيسا فى عام ١٩٠١ • ودعا روزفلت « بوكر واشنطون » الى العشاء فى البيت الأبيض بعد أقل من شهر من توليه الرياسة • وبعد سنتين عين أحد الزنوج محصلا للجمارك فى مينا شارلستون • وهلل الزنوج لذلك وكتبت جرائدهم عن روزفلت تقول : انه أول رئيس لجمهوريتنا منذ لنكولن ـ وغـاب عن أذهانهم أن سلفه « ماكينلى » قد عين من الزنوج فى الوظائف الفدرالية أكثر مما عينه أى رئيس للجمهورية ـ ثم حدثت حادثة « أنديانولا » الشهيرة • فقد كانت امرأة زنجية تدير مكتب البريد فى تلك البلدة ثم اضطرت لتقديم اســـتقالتها تحت ضغط البيض ولكن روزفلت رفض قبول استقالتهــــا وعندما أصرت على عــــدم الاستمرار فى الخدمة أغلق مكتب البريد •

وكانت الفترة الثانية من رياسة روزفلت أقل توفيقا • فحدثت في أثنائها عدة مصادمات عنصرية نتيجة هجرة الزنوج الى المدن • وكان أعنفها ما حدث في براونسفيل تكساس ، اذ كانت تعسكر فيها فرقة زنجية اتهمت بأنها تهجمت وأطلقت النار على السكان البيض وقتلت رجلا أبيض • وأحداث الواقعة ما زالت غامضة الا أن روزفلت أمر بالتحقيق ثم أصدر أمره بتسريح الفرقة بكاملها مع حرمانها من الشرف العسكرى وكان هذا القرار صدمة كبيرة للزنوج •

وكان خلف روزفلت « ويليام هوارد تافت » • ولم يكن يبدو عليه أنه الرجل الذى سيوقف تيار المعاملة الوحشية وشنق الزنوج الذى ساد في ذلك الوقت • ولذلك واجه الزنوج موقفا عصيبا في انتخابات عام ١٩١٢ • فقد عاد « تيودور روزفلت » لترشيح نفسه للرياسة عن الجمهوريين ولكنه أغضب الزنوج برفض قبول المندوبين الزنوج وعدم اعلانه أى تصريح معاد للتفرقة خلال حملته الانتخابية وهكذا تحول الزنوج الى الحزب الديمقراطى الذى كان عدوا لهم منذ عصر الرق •وكان زعماء الزنوج يميلون الى المرشح الديموقراطى « ودرو ويلسون » بسبب تصريحين له قال في أحدهما : انه يود أن يرى العدالة تشمل الملونين وليست العدالة المفروضة انما النابعة عن الليبرالية وحسن النية « وقال في تصريح آخر «يستطيع الزنوج أن يثقوا أننى اذا ما انتخبت فسأعمل على أن يعاملوا معاملة حسنة وسأبذل كل مافى وسعى لترقية شأنهم في الولايات المتحدة » •

هذا هو ما قاله ويلسون ولكنه في السنوات الأولى من حكمه فعل عكس كل ما قاله • ففى ظل رياسته قدم للكونجرس أكبر عدد من القوانين المعادية للزنوج شهدته البلاد • وكانت كلها ترمى الى عزل الزنوج ومعاملتهم معاملة خاصة في المركبات العامة والجيش

والبحرية وحتى فى الوظائف الفدرالية ٠ ومنع دخول المهاجرين الذين من أصل زنجى ٠ ولم تمر معظم هــــذه القوانين ، ولكن ويلسون أصـــــدر أوامر ادارية بالتفرقة بين الزنوج والبيض فى الوظائف الفدرالية حدث هذا عندما كانت عمليات الشنق والتعذيب ضد الزنوج على أشدها وفى عام ١٩١٥ توفى « بوكر واشنطون » وفقد الزنوج بموته قائدا كان البيض يعرفونه ويحترمونه ٠ وعندما حاول « مونرو تروتر » مقابلة الرئيس ويلســــون للاحتجاج على سياسته رفض ويلسون وأنهى المقابلة بحجة أن الفاظ تروتر كانت غير لائقة ٠

ثم جاءت الحرب لتعدل من الميزان قليلا ، فعندما أعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا فى ابريل عام ١٩١٧ هرع الزنوج لتسجيل أسمائهم ولكنهم كانوا يقابلون بالرفض ٠ وعندما دعت الحكومة بعد ذلك الى تجنيد جميع الرجال القـــادرين قبلوا ٠ وبلغ عدد من تطوع منهم مليونا وربع مليون ٠ ولعبت التفرقة دورا كذلك ٠ فقد كان البيض يعفون من الخدمة لأوهى الأسباب على حين كان الزنوج يقبلون حتى ولو كانت بهم عاهات ظاهرة ٠

وكان وجود الزنوج داخل الجيش سببا فى قيام المشــــاكل التقليدية ٠٠٠ أين سيتدربون ؟ وأين سيأكلون ؟ هل سيعملون مع القوات البيضاء ؟ هل سيسمح للزنوج أن يكونوا ضباطا ؟ واذا صاروا ضباطا هل يرأسون فرقا بيضاء أو سوداء ؟

وكان الزنوج لا يريدون الاكتفاء برتبة النفر بل يريدون أن يكونوا ضباطا ٠ وحمل اتحاد تقدم الملونين الاقتراح الى القائد العام الجنرال « ليونارد وود » فوعد باقامة معسكر خاص للضباط السود اذا أمكن تجميع مائتين من السود من خريجى الجامعات ٠ وتشكلت لجنة تمكنت من جمع ١٥ ألف زنجى يصلحون لأن يكونوا ضباطا ٠

ووافق الكونجرس على الأمر وفعلا قام معسكر تدريب الضباط الزنوج فى ايوا ·

وتخرج من هذا المعسكر ٣٣٩ ضابطا · وفيما بعد فى أثناء الحرب وعلى أساس غير عنصرى تمكن الزنوج من الحصول على رتبة الضابط نظرا لامتيازهم وخدماتهم · وهكذا تسلح الزنوج بسلاح جديد فى حربهم من أجل المساواة · ودعمهم المدنيون كذلك الذين اشتروا بربع مليون دولار سندات الحرب ·

وتميزت فترة ما بعد الحرب بتطورين هامين فى علاقة الزنوج بالحكومة :

الأول حركة احتجاج شاملة من الزنوج مدعمة بسجلاتهم الحربية المشرفة ، لتطالب الحكومة بالغاء التفرقة · وحملة جريدة « الأزمة » لسان حال اتحاد تقدم الملونين حملة شعواء بلسان الجنود الزنوج على التفرقة العنصرية ونظمت المظاهرات والاحتجاجات ·

واستمع الرئيس « وارن هاردنج » ومن بعده «كالفن كوليدج» وكلاهما من الجمهوريين الى مطالب الزنوج ولكنهما لم يفعلا شيئا وأدى هذا الى التطور الثانى وهو تخلى الزنوج نهائيا عن الحزب الجمهورى ·

ففى عام ١٩٢٨ حاول الحزب الجمهورى كسب أصوات الجنوب فتجاهل الزنوج ، واتفق مع زعماء البيض وذلك بالرغم من قادة الزنوج الذين قضوا حياتهم أعضاء فيه · وتحول الزنوج الى الحزب الديموقراطى وأيدوا مرشحه الكاثوليكى « الفرد سميث » · ولكنه لم ينجح ، وكذلك لم ينجح الجمهوريون فما ان سقط المرشح الديموقراطى الكاثوليكى حتى عاد البيض الجنوبيون كما كانوا ديموقراطيين ، وفى الوقت نفسه ، ظل الزنوج ديموقراطيين كذلك ، وبحلول الأزمة فى عام ١٩٣٢ وقيام « فرانكلين ديلانو روزفلت »

وميثاقه الجديد وسياسته الاقتصادية ارتبط الزنوج نهائيا بالحزب الديموقراطى . ووجد الزنوج فى فرانكلين روزفلت صـــورة الأب وقت الأزمة العصيبة ، وكان برنامجه للتشغيل والاعانات خير معين للزنوج وخصوصا أنهم الذين عانوا أكثر من غيرهم من البطالة . ولقد بلغ فرانكلين روزفلت مكانة عالية فى نفوس الزنوج لسببين :

الأول معرفتهم أن كلا من الرئيس وزوجتـــه لهم أصـــدقاء حميمون من الزنوج . وكانت مسز روزفلت تشاهد فى المحافل العامة بصحبة أصدقائها الخصوصيين من الزنوج . وكانت احداهن الدكتورة « مارى بثون » ضيفة مستديمة فى حفلات العشاء فى البيت الأبيض .

الثانى أن روزفلت عين اخصائيين من الزنوج كمســاعدين ومستشارين لوزارات الحكومة المختلفة ولم تكن هناك وزارة تخلو من زنجى فى مركز استشارى هام وكان هــــؤلاء الزنوج يدعون « بالوزارة السوداء » وبلغ عددهم خلال السنوات الأخيرة من حكم روزفلت حوالى خمسة وعشرين منهم « تيدبوستون » دكتور روبرت ويفر ، « والدكتورة انا ارنولد » « ورالفا بنش » . وكانت لتلك العلاقة لحظاتها العصـــيبة كذلك . ففى عـــام ١٩٤١ هدد « فيليب راندولف » بالقيام بزحف من العمال الزنوج على واشنطن للاحتجاج على التفرقة فى المصانع التى تنفذ عقود الحكومة . وحاول الكثيرون ومنهم مسز روزفلت اقناع راندولف بالعدول ولكنه رفض . وتدخل الرئيس روزفلت فى النهاية وأصدر أمرا اداريا بمنع التفرقة فى المصانع التى تتولى عقود الحكومة .

أما « هارى ترومان » فكان فى الرياسة أحسن منه عضوا فى الكونجرس وكان قراره فى عام ١٩٤٨ بالغـــاء التفرقة فى القوات المسلحة نصرا كبيرا للزنوج . وعلى أى حال لم يكن ترومان روزفلت

آخر . فقد انتهى عصر الميثاق الجديد بخروج المسز روزفلت من البيت الأبيض .

ويتذكر الزنوج للرئيس ايزنهاور أنه هو الذى عارض قرار ترومان بالغاء التفرقة فى القوات المسلحة على أســــاس أن ذلك سينقص من كفاية الجيش . وأدى ذلك الى حصوله على ٢١٪ فقط من أصـــوات الزنوج الذين كان معظمهم يأمل فى نجاح « ادلاى ستيفنسون » .

ولما صدر قرار المحكمة العليا فى عام ١٩٥٤ بالغاء التفرقة فى المدارس كان كل ما يطلبه الزنوج من ايزنهاور هو المساعدة على تنفيذ القرار . وفعلا عمل ايزنهـــاور على تنفيذ القرار فى مدن الجنوب . وأدى ذلك الى تغير عواطف الزنوج تجاه ايزنهاور فحصل فى انتخابات عام ١٩٥٦ على ٤٠٪ من أصـــوات الزنوج . على أن أيزنهاور لم ينفرد وحده ببطولة الحقوق المدنية ففى عام ١٩٥٨ أصدر الكونجرس بعد ستين عاما من المعاناة قانونا بالحقوق المدنية .

وبرغم ذلك فلم تتحرك المشكلة نحو الحل بالسرعة الواجبة وكان هذا هو أحد الأسباب لانفجار ثورة الزنوج فى عام ١٩٥٨ . وفى عام ١٩٦٠ خلال معركة الانتخابات كانت ثورة الزنوج قد بلغت حدا كبيرا وأصبح لها وزنها وسعى كل من الديموقراطيين والجمهوريين لكسبها . وجاءت اللحظة الحرجة قرب نهاية الحملة . فقد ألقى القبض على « مارتن لوثر كنج » لاشـــتراكه فى مظاهرة لحركة الجالسين وسجن وحوكم وصدر ضده حكم بالأشغال الشاقة لمدة أربعة شهور . فسارع « جون كنيدى » بقطع رحلته الانتخابية وزار مسز كنج وعبر لها عن أسفه . وفى اليوم التالى قابل «روبرت كنيدى » القاضى الذى أصدر الحكم وأفرج عن مارتن لوثر كنج فى اليوم التالى .

ويعد « تيـــودور هوايت » فى كتابه « صناعة رئيس » أن هذا العمل من جانب كنيدى كان أخطر حدث أمال ميزان المعركة لصلحته .

ولقد مر العام الأول من رياسة كنيدى دون أن تتخذ حكومته خطوات بارزة فى سبيل الحقوق المدنية. وامتلأت الصحف وتنظيمات الزنوج بالنقد المر لأن الرئيس لم يحقق شـــيئا مما وعد به فى حملته الانتخابية .

وفى يناير عام ١٩٦٢ عقد فى البيت الأبيض اجتمـــاع على مستوى عال كان موضوعه الحقوق المدنية . وحضر هذا الاجتماع الى جانب الرئيس كنيدى ومساعديه ، روبرت كنيدى المدعى العام ، للحقوق المدنية، وبورك مارشال. مساعد المدعى العام للحقوق المدنية، ودكتور «روبر ويفر» ــ وترشحه الاشاعات ليكون أول وزير زنجى ــ و « لويس مارتن » وهو أحد قادة الزنوج وعضـــو لجنة الحقـــوق الديموقراطية .وبعد مقابلتى لبعض من حضروا هذا الاجتماع أدركت أن جميع من نقدوا الرئيس كنيدى ــ ومنهم أنا ــ كانوا مخطئين . وكان الخطأ راجعا الى جهلنا ببرنامج الرئيس للحقوق المدنية وجهلنا من ناحية أخرى بأساليب ووســـائل الرئيس كنيدى فى العمل . فالرئيس كنيدى سياسى من الطراز الأول وليس هذا مدحا بل حقيقة واقعة ، وهو أكبر عبقرية سياسية دخلت البيت الأبيض . وهذا يفسر حقيقة برنامجه للحقوق المدنية وهو البرنامج الذى يعتمد على ازدهار الناخبين الزنوج .

فبعد انتخاب الرئيس كنيدى بمدة قصـــيرة عرف عنـــه أنه يعد مفتاح تقدم الزنوج وخصوصا فى الجنوب وهو حق التصويت وكان هذ أمرا منطقيا من جانبه فبوصفه سياسيا كان يحس أن الموظفين المنتخبـــين ــ على نطاق المقاطعـــة أو الولاية أو الاتحاد ــ سيكونون أقل تعصبا ضد الزنوج اذا كان جمهور ناخبيهم يحوى

عددا كبيرا من الزنوج • وكان يعلم أن الزنوج يمنعون من الادلاء بأصواتهم فى الجنوب بمختلف الحيل القانونية وبالارهاب • ولذلك أصدر تعليمات الى المدعى العام برفع عدة قضايا لتزيل هذه العوائق القائمة أمام صندوق الانتخاب ولالغـــاء أثر ما عرف « بالقـوانين السوداء » •

وفعلا رفعت وزارة العدل أمام المحاكم الفدرالية مســـألة التفرقة العنصرية التى فى جداول قيد النـاخبين • ونجـــاح هذه القضـــايا سيؤدى الى ابطال اجراءات القيد المتحيزة فى عدد من المقاطعات مما سيسمح لآلاف الزنوج بادراج أسمائهم فى ســجل الناخبين •

وكانت وزارة العدل تعلم انه حتى اذا ما ازيلت العوائق من أمام صندوق الانتخاب فان الزنوج سيتعرضون للاضطهاد المادى والمعنوى • ولكى تمنع ذلك رفعت قضايا ناجحة اســـتطاعت أن تمنح الحماية للزنوج الذين يسجلون أصــواتهم ويشــتركون فى الانتخابات • وكانت هذه القرارات تسمح للحـكومة الفـدرالية باتخاذ الاجراءات العاجلة لحماية الناخبين الزنوج •

وهذه الحقـــائق جميعها تضمنها تقرير المدعى العـام لسـنة ١٩٦١ عن الحقوق المدنية • ولكنها قوبلت بالنقد من أحرار البيض، الذين كانوا يرون النجاح التى فقط فى تمرير قانون الحقوق المدنية فى الكونجرس • أما الذى لم يكن يعلمه الا القليل فان هذا العمل من جانب حكومة الرئيس كنيدى فى عامها الاول لم يكن الا استعدادا وتهيئة لاحـد طرفى الكماشـــة التى تهـدف الى تغيير الخريطة السياسية للجنوب كله وبداية لتحالف قوى بين الحـكومة ورأس المال الخاص لوضع الحقوق المدنية موضع التنفيذ •

واتصل الرئيس كنيــدى ومؤيدوه من كبـار رجال المال

بالتنظيمات القيادية للزنوج ، ودعوهم جميعا الى القيام بحركة موحدة لتسجيل أصوات الزنوج على أن يقوموا بتمويل هذه الحركة وتقوم الحكومة بحمايتها . وكانت الأسباب التى يعتمدون عليها فى توقع نجاح هذه الحركة هى : ـ

١ ـ ان مسألة تسجيل الأصوات هى الميدان الذى تسيطر عليه وزارة العدل وتستطيع اتخاذ اجراءات فيه على مسئوليتها .

٢ ـ ان هذه المسألة هى المسألة الوحيدة التى لا يستطيع العنصريون المتعصبون أن يعارضوها صراحة . فحق التصويت مسألة سياسية يخجل جميعهم من التعرض لها . اذ يستطيعون القول بأنهم لايريدون أن يجلس اولادهم فى المدارس الى جانب الزنوج ، ولكنهم لايجرءون على القول بأنهم لا يريدون أن يصوت الزنوج .

٣ ـ أن الأبحاث دلت على أن أقسى الصعوبات تواجه الزنوج فى المناطق التى لهم فيها قوة عددية كبيرة لها خطرها السياسى . فاذا تمكن هؤلاء الزنوج من التصويت فسيستطيعون تغيير الأمور بانتخاب موظفين عموميين معقولين . أول خطوة فى سبيل تغييرات أكبر من وجهة النظر الادارية .

٤ ـ ان ازدياد أصوات الناخبين فى الجنوب سيغير من الاتجاهات المحلية وسيغير أيضا من تكوين الكونجرس مما سيؤدى فى النهاية الى اقرار قوانين الحقوق المدنية وجميع التشريعات الليبرالية .

ولقد أبدى الكثير من قادة الزنوج نفورا من هذا البرنامج خوفا من أن يكون وسيلة لايقاف حركات الجالسين ورحلات الحرية . ولكن الرئيس واصدقاءه بينوا بالعكس أنه سيفيدها ويدعمها اذ أن تمويل حركة تسجيل الناخبين سيتولونه هم مما

سيتيح للمنظمات تحويل الاموال التى رصدوها للتسـجيل الى دعم المظاهرات . ولما تم الاتفاق على تلك الخطوة وقعت المنظمات فى خلاف فيما بينها وتنازعت الاختصاصات والمسئوليات . ولكن تم تذليل العقبات فى نهاية عام ١٩٦١ واتفقت كل منظمات العصبة المدنية ومؤتمر المساواة العنصرية ، ومؤتمر القيادة المسيحية ، ومنظمة الطلبة واتحاد تقدم الملونين. وتلقوا ربع مليون دولار للبدء فى الحملة . وتعين المحامى الزنجى « ويلى برانتون » — بطل ليتل روك — لقيادتها .

وتتوقع السلطات — نتيجة لما تراه من حركة الزنوج العامة — أن تتسع حركة تسجيل الأصوات . وأن تسير جماهير الزنوج بقيادة موحدة الى جداول الانتخابات تمولها منظمات الاحرار البيض . فاذا صادفتها عقبات — وهذه هى حركة الكماشة — تحركت وزارة العدل لتزيل العقبات من امامها وتحميها .

وهذه هى الخطة البارعة التى يديرها الرئيس كنيدى ومؤيدوه . ويتضح مدى عمق هذه الخطة بدراسة بسيطة لنسبة أصوات الزنوج فى مختلف الولايات فهم يكونون ٤٠٪ من الاصوات فى ٧ دوائر من ولاية ألاباما ، ٥٠٪ فى ٤ دوائر فى ولاية مسيسيبى ، ٣٧٪ من الاصوات فى ٤ دوائر فى ولاية جنوب كارولينا ، ٣٣٪ من الاصوات فى ٦ دوائر فى ولاية جورجيا ، ٢٥٪ فى الدوائر الثمانى لولاية لويزيانا ... الخ .

والواقع ان الصورة التى يبدو بها المستقبل وفق هذه الخطة مشرقة تماما . وصرح لى « بورك مارشال » أن الخطة فعلا بدأت تؤتى ثمارها وأن القضايا التى رفعت فى ثلاث ولايات حتى الآن أدت الى تسجيل أسماء الزنوج فيها . ومضى قائلا « نحن لا نتوقع أن تؤدى الخطة الى تقديم مرشحين بيض يقبلهم

الزنوج فقط وانمـا الى ظهور مرشحين من الزنوج وخاصـة فى مقاطعة ماكون » .

وصرح لى المدعى العام روبرت كنيدى « اننا سـنقدم قانون الحقوق المدنية للكونجرس فى الوقت الملائم ولكننا الآن مشغولون بالغاء حيل امتحانات الأمية وضرائب الانتخابات التى تحتسب فى بعض الولايات شرطا للانتخاب . ولقد نجحنا الآن فى لويزيانا ونعد الهجوم على المسيسيبى . ويتوقع الرجال المحيطـون بكنيـدى أن يتمكن من تمرير مشروع الحقوق المدنية عام ١٩٦٢ ثم يصـبح قانونا عندما تجدد فترة انتخابية فى عام ١٩٦٤ .

وأهم ما تخشاه السلطات فى هذه الفترة ـ وأعتقد أنها على حق ـ أن تفشل المنظمات القيادية اما للتناحر بينها أو لانعزالها فى تحريك جماهير الناخبين الى جداول القيد . ولهذا السبب فان المنحة المالية المقدمة لهم غير مقصورة على التنظيمات الموجـودة فقط انما تستطيع أية منظمة تسعى لقيد الناخبين أن تحصل على المعونة المالية كما حدث فعلا فى مونتجومرى وألبانى .

وتبين خطة الرئيس كنيدى موقفه من مشـكلة الاقليات عموما . فالحكومة تقدم العون والمساعدة والحماية ، ولكن العبء الرئيسى يقع على عـاتق الجمـاهير . وهذا هو التحدى الذى تواجهه قيادة الزنوج . ولا يوافق الكثيرون من أحـرار البيض كالمسز روزفلت وادلاى ستيفنسون على خطـة الرئيس كنيدى . ولكن هذا هو ما يعتقده ، أن يدع الجماهير لتنال حقها بيدها .

لقد كانت المحكمة العليا فى المقدمة بالنسبة للحقوق المدنية لمدة طويلة . أما اليوم فربما جاء دور الجهاز التنفيذى والتشريعى . ويوصف كنيدى بأنه أول رئيس للولايات المتحـدة يمكن المرء أن يسميه ليبراليا حقا . واذا لم يفعل كنيدى شيئا سوى أن يضمن

للزنوج حق التصويت فانه يكون قد فعل مالم يفعله احد من قبل بالنسبة للحقوق المدنية للزنوج ٠

١٨ ـ المحتوى العالمى لثورة الزنوج

ان احساسا قويا بالهدف ـ ومثابرة تتخطى الرغبة فى الحقوق المدنية تستطيع فقط أن تدعم موقف الزنوج فى الايام المقبلة ٠ فبينما تتضاءل مظاهر التفرقة الواضحة فى الولايات الواقعة على الحدود وبعض ولايات الجنوب نجد أن جهاز السلطة الابيض فى ولايات الجنوب العميق سيزداد عنادا وعنفا . وسيعجب أشد البيض والسود تحررا للثمن الذى ستدفعه البلاد لتفرض التكامل فى المسيسيبى وبعض مناطق ألاباما وجنوب جورجيا وربما تساءلت هل الغاء التفرقة يستحق هذا الثمن ؟ أنا شخصيا مقتنع أن الاحكام العرفية وحدها هى التى يمكن أن تفرض الغاء التفرقة فى تلك المناطق وسيكون ثمن حصول الزنوج على حق التصويت والغاء التفرقة فى الخدمات العامة فى تلك المناطق فادحا لدرجة اننا سنفكر مليا هل هذه المعركة ستنتهى بدمار الطرفين ؟ ٠

وبرغم كل ذلك فان هذا العمل يجب أن يتم وهذا الثمن يجب أن يدفع ، لأننا كشعب أمريكى ، كأمة ليس أمامنا سوى هذا الطريق اذا رغبنا فى العيش والاستمرار ٠ فمشكلة العنصرية فى أمريكا لم تعد مجرد مسألة خاصة بمواطنى هذا البلد . ومن يشك فى هذا فليسمع هذه الواقعة : فعندما كانت تناقش مسألة دخول الصين الامم المتحدة وقف « ادلاى ستيفنسون » مندوب الولايات وذكر عدة أسباب لرفضه دخول الصين الامم المتحدة من بينها سوء معاملة المواطنين داخل تلك الدولة . فرد عليه «زورين» مندوب الاتحاد السوفييتى : انه اذا اتخذت معاملة المواطنين اساسا

للقبول فى الامم المتحدة فان أول دولة يجب أن تطرد على هذا الاساس هى الولايات المتحدة بسبب معاملتها للزنوج .

وليس الاعداء فقط هم الذين يلقون فى وجوهنا بمشكلة التعصب العنصرى . ففى يوليو عام ١٩٦١ ألقى أحد الدبلوماسيين الشرقيين بخطاب فى مؤتمر نظار المدارس قال فيه : « ... ينظر الناس فى افريقية وآسيا الى «فرسان الحرية» الذين يجوبون الجنوب باعتبارهم أبطال الحرب المقدسة التى يشنها الزنوج من أجل الحرية . ومن الواضح أن نضالهم ليس عنصريا خالصا ، فله دلالات سياسية عميقة . فقد كان المسرح التقليدى لمعركة الحقوق المدنية فى هذه البلاد هو المحاكم . ولكن انتصارات المحاكم ماهى الا انتصارات محدودة طالما رفض الكونجرس أن يفرض تنفيذها عن طريق التشريع ... كما أن هذا يقصر هدف الزنوج على « تكامل » بعض المؤسسات بدلا من الثورة السياسية التى تغير هذه المؤسسات .. ومن المفهوم أن المعارك العنصرية العنيفة فى الجنوب كان لها صداها فى الخارج فى الامم غير البيضاء فى آسيا وافريقية ...» .

واختير « يوثانت » سفير بورما فى الأمم المتحدة بعد أربعة أشهر من القائه هذا الخطاب سكرتيرا لهيئة الامم . وحل مشكلة العنصرية فى أمريكا له دور أكبر من مجرد تحسين سمعتنا أمام العالم ، فسوف يقوى الجهود المبذولة لمعالجة ظاهرة عنصرية على نطاق العالم كله . فاليوم تكون كتلة الامم الافرو – آسيوية أغلبية فى الأمم المتحدة . وقد هزت هذه الكتلة أسس الأمم المتحدة نفسها .. وهذا هو السبب فى أن الامم المتحدة لم تستطع أن تفعل شيئا ازاء الهند عندما دخلت جوا . وهذا هو السبب أيضا فى أن الصين الحمراء ستدخل الامم المتحدة ، كما أن هذا هو السبب فى تفكير الامم الاوربية فى تكوين حلف يتخطى الامم المتحدة ويعمل

على مسئوليته فى المشـــاكل الدولية . لأن الحقيقة ان كثيرا من الأوربيين يعتقدون أن الحرب القادمة لن تكون بين الشرق والغرب وانما بين البيض وغير البيض ، وينتظرون اليوم الذى تقف فيـه روسيا والولايات المتحـدة وأوربا الغربيـة ضـد الصين والامم الافرو ـ آسيوية .

ويعتقد الكثير من القـادة الافريقيين أيضـا أن قادة الأمم الغربية البيضاء فى طريقهم الى حرب عنصرية . وان فرنسـا وبلجيكا وانجلترا والمانيا الغربية والبرتغال يبذلون جهـدهم لضم أمريكا اليهم فى هذه الحرب . وانى اعتقد ان حل مشكلة الزنوج فى امريكا سيحدد اتجاه الولايات المتحدة بالنسبة الى هذه المسألة. فلسوف يحيد العالم عن الحروب العنصرية بقدر مايندمج الزنوج فى تيار الحياة الامريكية .

ولقد ردد « جيمس رستون » هذه الأفـكار فى النيـويورك تيمز فى عددها الصادر فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٦١ . فقد لخص عددا من المحادثات التى دارت بينه وبين بعض المسئولين الانجليز والفرنسيين ، وكلها تتركز فى أن السياسة الحالية للغرب تدفع العالم الى حرب عنصرية ... وان الواجب هو تحالف الغرب ليقاوم ضغط اجناس تفوقه عددا .

وهذا فى الحقيقة هو ما يردده المسلمون السود . فالله ـ أي الرجل الأسود ـ سيدخل فى حرب من الشيطان ـ الرجل الأبيض ـ وسيدمره . وانه يجب على زنوج أمريكا أن ينسحبوا من بين البيض حتى لا تدمرهم تلك الحرب . ومن الغريب أن نجد قادة الغرب « وايليا محمد » يصلون الى نفس النتائج من مقدمات مختلفة . اذ ينادى كل منهم بتحالف العنصر انتصارا للأزمة المقبلة .

خـــاتمة

مهما كان الزنجى فهو أمريكى . وأى مصـــير ينتظره فهو ينتظره فى أمريكا . وخلال البحوث التى أجريتها لاخراج هـذا الكتاب قابلت المئات من الزنوج وتحادثت معهم وأثر فى أعماقى أنه برغم أنهـم كانـوا يقطرون مرارة وغضـــبا ويحـزنهم أن ما يستطيعون عمله خلال حياة الفرد القصيرة لا يمكن أن يزيل آثار العبودية والاســتبداد ـ برغم كل هذا فقد كانوا جميعا موقنين بأنهم ســيحصلون يوما على حريتهم وأن ثورة الزنوج ستنتصر بكل تأكيد .

جدول يبين تعداد البيض والسود وغيرهم من الأقليات فى مختلف الولايات على حسب تعداد عام ١٩٦٠ :

الولاية	البيض	السود	أقليات أخرى
الاباما	٢ر٢٨٣ر٦٠٩	٩٨٠ر٢٧١	٢ر٨٦٠
الاسكا	١٧٤ر٥٤٦	٦ر٧٧١	٤٤ر٨٥٠
أريزونا	١ر١٦٩ر٥١٧	٤٣ر٤٠٣	٨٩ر٢٤١
أركانساس	١ر٣٩٥ر٧٠٣	٣٨٨ر٧٨٧	١ر٧٨٢
كاليفورنيا	١٤ر٤٥٥ر٢٣٠	٨٨٣ر٨٦١	٣٧٨ر١١٣
كولورادو	١ر٧٠٠ر٧٠٠	٣٩ر٩٩٢	٦٣ر٢٥٥
كونكتيكت	٢ر٤٢٣ر٨١٦	١٠٧ر٤٤٩	٣ر٩٦٩
ديلاوار	٣٨٤ر٣٢٧	٦٠ر٦٨٨	١ر٢٧٧

وكل مايمكنني ان أقوله : انه يحسن بالرجل الأبيض أن يتنبه الى أن دعوة شعوب المستعمرات والسود ليست لعبا ، وأنه يجب الا ينتظر حتى تسيل الدماء ليقتنع بذلك . فكما فقد الزنوج فى امريكا الثقة فى جهاز السلطة الأبيض فى أنه سينفذ قرارات المحاكم فى الجنوب كذلك فقد السود على نطاق العالم كله الثقة فى المفاوضات والمحادثات .

وطريق المستقبل ملىء بالألغام . ففى المسيسيبى كما فى جنوب افريقية توجد أعاصير فى الانتظار . فلو قدر لها أن تنفجر فان الحرب العنصرية التى تكهن بها الكثيرون ستبدأ . وهذا هو السبب » بالاضافة الى غيره من الأسباب ، فى أنه يجب على جميع الأمريكيين ذوى النيات الطيبة أن يتحدوا مع السود فى ثورتهم القائمة . وانتصار السود فى هذه المعركة لن يعطى الزنوج حقهم فحسب وانما يعطل ، وربما الى الأبد ، يوما تثور فيه حرب الأجناس .

فالحياة عملية مستمرة ، وفى خلال هذه العملية نصحح الأوضاع فى مجتمعنا وننقذ أنفسنا وننشط القوى التى ستحفظ حضارتنا من الزوال . فأزمة الانسان الحديث أزمة روحية سببها الضير المستمر الذى يوقعه الانسان بأخيه الانسان ، وتحطيم القوى لكرامة الضعيف . هذا هو السم الذى يسرى فى دم الانسانية اليوم وترياقه هو استخلاص عناصر هذا السم نفسه واعادة ترتيبها . اى أن يعاد ترتيب القوى الاقتصادية والسياسية التى أدت الى هذه المعاملة اللاانسانية لتوقفها عند حدها ثم توجه للقضاء على أوبئة العنصرية والسيطرة السياسية من جميع الأراضى التى يحتلها الانسان .

الولاية	البيض	السود	اقليات اخرى
د. س	٣٤٥ر٢٣٦	٤١١ر٧٣٧	٦ر٩٥٦
فلوريدا	٤ر٠٦٣ر٨٨١	٨٨٠ر١٨٦	٧ر٤٩٣
جورجيا	٢ر٨١٧ر٢٢٣	١ر١٢٢ر٥٩٦	٣ر٢٩٧
هاواى	٢٠٢ر٢٣٠	٤ر٩٤٣	٤٢٥ر٥٩٩
ابداهو	٦٥٧ر٣٨٣	١ر٥٠٢	٨ر٣٠٦
البنوى	٩ر٠١٠ر٢٥٢	١ر٣٧ر٤٧٠	٣٣ر٤٣٦
انديانا	٤ر٣٨٨ر٥٥٤	٢٦٩ر٢٧٥	٤ر٦٦٩
أبوا	٢ر٧٢٨ر٧٠٩	٢٥ر٣٥٤	٣ر٤٧٤
كانساس	٢ر٠٧٨ر٦٦٦	٩١ر٤٤٥	٨ر٥٠٠
كنتكس	٢ر٨٢٠ر٠٨٣	٢١٥ر٩٤٩	٢ر٢١٤
لويزيانا	٢ر٢١١ر٧١٥	١ر٠٣٩ر٢٠٧	٦ر١٠٠
ميـــد	٩٦٣ر٢٩١	٣ر٣١٨	٢ر٦٥٦
ماريلاند	٢ر٥٧٣ر٩١٩	٥١٨ر٤١٠	٨ر٦٣٠
ماساتشوستس	٥ر٠٢٣ر١٤٤	١١١ر٨٤٢	١٣ر٥٩٢
ميتشيجان	٧ر٠٨٥ر٨٦٥	٧١٧ر٥٨١	١٩ر٧٤٨
مينيسوتا	٣ر٣٧١ر٦٠٣	٢٢ر٢٦٣	١٩ر٩٩٨
مسيسيبى	١ر٢٥٧ر٥٤٦	٩١٥ر٧٤٣	٤ر٨٥٢
ميسورى	٣ر٩٢٢ر٩٦٧	٣٩٠ر٨٥٣	٥ر٩٩٣
مونتانا	٦٥٠ر٧٣٨	١ر٤٦٧	٢٢ر٥٦٢
بنراسكا	١ر٣٧٤ر٧٦٤	٢٩ر٢٦٢	٧ر٣٠٤
نيفادا	٢٦٣ر٤٤٣	١٣ر٤٨٤	٨ر٣٥١
نيوهابشير	٥ر٥٣٩ر٠٠٣	١ر٩٠٣	٦٨٤
نيوجيرس	٨٧٥ر٧٦٣	٥١٤ر٨٧٥	١٢ر٩٠٤
نيومكسيكو	١٥ر٢٨٧ر٠٧١	١٧ر٠٦٣	٥٨ر١٧٩

الولاية	البيض	السود	اقليات اخرى
نيويورك	٣ر٣٩٩ر٢٨٥	١ر٤١٧ر٥١١	٧٧ر٧٢٢
نورث كارولينا	٦١٩ر٥٣٨	١ر١١٦ر٠٢١	٤٠ر٨٤٩
نورث داكوتا	٨ر٩٠٩ر٦٩٨	٧٧٧	١٢ر١٣١
اوهيو	٢ر١٠٧ر٩٠٠	٧٨٦ر٠٩٧	١٠ر٦٠٢
اوكلاهوما	١ر٧٣٢ر٠٣٧	١٥٣ر٠٨٤	٦٧ر٣٠٠
اوريجون	١٠ر٤٥٤ر٠٠٤	١٨ر١٣٣	١٨ر٥١٧
بنسلفانيا	٨٣٨ر٧١٢	٨٥٢ر٧٥٠	١٢ر٦١٢
رود ايلاند	١ر٥٥١ر٠٢٢	١٨ر٣٣٢	٢ر٤٤٤
سوت كارولينا	١ر٥٥١ر٠٢٢	٨٢٩ر٢٩١	٢ر٢٨١
سوت داكوتا	٦٥٣ر٠٩٨	١ر١١٤	٢٦ر٣٠٢
تنبس	٢ر٩٧٧ر٧٥٣	٥٨٦ر٨٧٦	٢ر٤٦٠
تكساس	٨ر٣٧٤ر٨٣١	١ر١٨٧ر١٢٥	١٧ر٧٢١
أوتاه	٨٧٣ر٨٢٨	٤ر١٤٨	١٢ر٦٥١
فيرمونت	٣٨٩ر٠٩٢	٥١٩	٢٧٠
فيرجينيا	٣ر١٤٢ر٤٤٣	٨١٦ر٢٥٨	٨ر٢٤٨
واشنطون	٢ر٧٥١ر٦٧٥	٤٨ر٧٣٨	٥٢ر٨٠١
وست فيرجينيا	١ر٧٧٠ر١٣٣	٨٩ر٣٧٨	٩١٠
ويسكونسين	٣ر٨٥٨ر٩٠٣	٧٤ر٥٤٦	١٨ر٣٢٨
ويونج	٣٢٢ر٩٢٢	٢ر١٨٣	٤ر٩٦١
المجموع	١٥٨ر٨٣١ر٧٣٢	١٨ر٨٧١ر٨٣١	١ر٦١٩ر٦١٢

متوسط دخل الأسرة البيضاء ، والأسرة غير البيضاء (١٩٥٠ ـ ١٩٦٠) بالدولار فى اليوم ٠

السنة	الأسرة البيضاء	الاسرة غير البيضاء	النسبة المئوية لدخل الأسرة غير البيضاء الى البيضاء
١٩٥٠	٣ر٤٤٥	١ر٨٦٩	٥٤
١٩٥١	٣ر٨٥٩	٢ر٠٣٢	٥٣
١٩٥٢	٤ر١١٤	٢ر٣٣٨	٥٧
١٩٥٣	٤ر٣٩٢	٢ر٤٦١	٥٦
١٩٥٤	٤ر٣٣٩	٢ر٤١٠	٥٦
١٩٥٥	٤ر٦٠٥	٢ر٥٤٩	٥٥
١٩٥٦	٤ر٩٩٣	٢ر٦٢٨	٥٣
١٩٥٧	٥ر١٦٦	٢ر٧٦٤	٥٤
١٩٥٨	٥ر٣٠٠	٢ر٧١١	٥١
١٩٥٩	٥ر٦٤٣	٢ر٩١٧	٥٢
١٩٦٠	٥ر٨٣٥	٣ر٢٣٣	٥٥

فهرس

الدار القومية للطباعة والنشر